من وراء جُدر

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف
عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

جميع حقوق الطّبع والنّشر محفوظة للمؤلف.

لا يسمح بتصوير أو نسخ جزء أو كل هذا الكتاب دون الموافقة الخطّية من المؤلف.

وكل مَن يُخالف ذلك يعرّض نفسه للمساءلة القانونية

الطبعة الأولى 2021

دار يــافــا العلمية للنشر والتوزيع

الأردن – عمان – تلفاكس 4778770 6 00962

ص. ب 520651 عمان 11152 الأردن

E-mail: dar- yafa @yahoo. com

رواية

من وراء جدر

2021

اهداء

الى من تلاشت قلوبهم في عتمة الحياه فظنوا انها خاليه من السعاده والامل

الى صديقه وفيه تحمل قلبا مختلفا "اسماء" واخرى ساعدتني في نقش هذه

الحروف "رهف"

الى حامل القانون الذي اضاف بريق العدل لعالم اسود

الى صديق الطفوله ومعزوفه الذكريات

الى من اختارت روحه ان تسكن مكاناً خاليا من البشر

الى من رحلوا وتركوا فينا زوابع من الصور والمشاعر المكتظه والحنين

الى هذا العالم المليء بالصخب

الى ابي الذي لطالما كنت مصدر غضبه وازعاجه , اعتذر

انا احبك و بشدة

قال تعالى ﷻ

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر،14)

كم وددت لو انه عاد , فهناك الكثير من الكلام له والمئات من رسائل الاعتذار لامنحه اياها , كم تمنيت عودته لاتاسف وبشدة على ضياع كل دقيقه كان يريد مني ان ابقى فيها معه .

تمنيت ان يرى دموعي وهي تنساب كلما لاح طيفه في الذاكرة ,ليعلمَ مقدار حبي , كم اشتهي ان اقول ابي مجددا.....

حقا ! كنت مغفلا , والان اتمنى ان يعود لتوبيخي , ليبتسم فارى ابتسامته واتمعن فيها , فارحل الى نطاق السعاده , كم اتمنى لو عاد الزمان ادراجه للوراء ,لالقي بجسدي المتهالك في احضانه واجهش البكاء , انا حقا افتقده , لم اعتقد ان هذا اليوم سياتي ..

كنت دوما اقول اني ساعتذر غدًا يا ابي, اين الغد؟

الم تطلع شمسه الى الان !؟

اين ابي ؟

يوسف ...

(١)

كان يوما عاديًا, استيقظ فيه مُبكرًا كما اعتدت ان افعل, هناك نور ما !

من الذي اشعله ؟

نهضت من الفراش وانا أتثاءب فتحت باب الغرفة لأنزل السلالم , ربما امي اعدت الافطار ورما تركت لي مهمه تحصيل ما تشتهيه معدتي من الثلاجة , لأرى والدي ينهض مستعدًا للخروج لمكان ما ..

لم اعتد خروجه في مثل هذا الوقت فسارعت لسؤاله بتهكم: غريب امرك اتخطط للعمل في هذا الوقت المبكر ! الى اين تنوي الذهاب ؟

ليرد علي بابتسامه :

انه عمل من نوع خاص , لقد واعدت شخص برؤيته الان , لا عليك من هذا , عدني ان تكون شابًا مطيعا اليوم , ان تعتني بنفسك وامك ريثما اعود .

لأرد بضجر :

انا لست شابًا لا ازال صبي ,لا تحملني مالا طاقه لي به .

ليتركني ويرحل ... فادخل متأفف وانا اتحدث لنفسي : كم اكره كلمه " لقد كَبُرت " لا يعلم اني لاأزال ارغب بمزيد من اللعب , بقضاء المزيد من الوقت الممتع . لما يريدني ان اضيع عمري بمتاعب الحياه ؟

أيريد ان اصبح مثله ؟!

تجاهلت ما تكبدني من مشاعر وقتئذ , وخرجت من المنزل قاصدًا الجامعة ,لا جديد ...

يوم كسائر الايام احمل حقيبتي بضجر واخرج برفقه صديق لي يدعى محمد , قد لاحظ ضجري فسألني مبتسمًا :

أرأيت اباك صباح هذا اليوم ؟

لتأتيه نبرتي الغاضبة مجيبة له :

نعم وليتني لم افعل عاد ليقول اني كَبرت والهراء الذي يلقيه على مسمعي يوميا .

لاحظت سكوت محمد وتنهده لأقول : ما بك ؟

محمد : اتعلم ! اتمنى ان يعود ابي , لقد اشتقت لتوبيخه لصوته, لضحكته , لغضبه حتى .

لأساله وانا موقن باني فتحت عليه بابًا من المواجع :

يبدوا انه كان يحبك ليس كمثل ابي !

محمد ابتسم :انت مخطا , والدك يحبك ايضا لكنك لا تفهم ذلك ,ليس هناك اب يُكن كُرها لفلذه كبده الا ما ندر . والدك يحبك لكن عليك ان تفهم طريقته في التعبير عن ذلك لك .

لم اتحدث خشيه الدخول بنقاش لانهاية له , لا اعلم ما السحر الذي القاه علي لأظل مشتتا طوال اليوم ,كلماته تعصف في ذهني ذهابًا وايابًا (انه يحبك . ليت ابي يعود. لا تعامله هكذا . لا اريد ان اكبر)

حضرت المحاضرة الاولى بجسدي فقط فكري يجول بعيدا عن حدود القاعة التي اجلس فيها , او عن كلمات الدكتور الذي ينطق بها . لم استطع الذهاب الى المحاضرة التي تليها . شعرت ببعض الارهاق, فجلست بجسدي الذي اضناه التعب لأتمالك نفسي ومن ثم اذهب للمنزل ,لكن ما حدث فجاءه لم يمكنني من النهوض الم شديد يعج به راسي , تعبت اشعر بان راسي يفوق وزني وزنا , امسكه بين يدي اضغط عليه لأمنعه من الانفجار , اسمع اناس ينادون باسمي لكن انا لا

اراهم , الحروف ثقلت في لساني لست قادرا على النطق بها , ثوان عصيبة اشتد فيها الظلام, لم اعد اسمع تلك الاصوات المناديه ,لقد دخلت في حاله الا وعي...

❖❖❖

انه ابي يرتدي معطف ابيض , يقف اسفل عمود اناره ويبتسم, ينظر الي بغرابه , وماهي الا ثوان حتى تبعثرت ملامحه ,واصفر وجهه وفجاءة أطفئ الضوء من فوقه .....

❖❖

نهضت فزعًا , لم استطع التحرك لشده الاعياء ,قطرات من العرق تتصبب على جبيني , مما دفع ابي لينظر لي بقلق ويقول:

أأنت بخير ؟

اخبرته اني كذلك ,واردفت بتنهد :

ماذا حدث ؟اين انا؟

رايته يبتسم ليبعث في نفسي شيئا من الطمأنينة :

لقد فقدت وعيك بالجامعة ,اخبرنا الطبيب انك ستكون بخير اذا ما ارتحت قليلا ,يبدوا انك اجهدت نفسك بالتفكير بأمر ما .

لم اقدم أي رد فعل لما قاله مما دفعه لسؤالي :

بما كنت تفكر ؟

ليجلس بجواري بقلبه الحاني الذي سرعان ما رددت معروفه بنفور كان قد اعتاده ليقول:

تحدث لعلك ترتاح قليلا ..

لم اجبه رغم الحاحه ليقف يائسًا :

اذا اردت التحدث سأكون هنا لاستمع اليك ,استرح الان .

خرج ,ويالیته لم يفعل, كنت بحاجه لوجوده الذي لم اخبره بقيمته ,ما لذي حدث ؟ وكأنما لم يعد هناك اكسجين لاستنشقه ، هل اخذه ابي معه ؟؟

ام ان رئتي اصبحت عاجزة عن سحبه ودفعه لجوفها ؟

لماذا اشعر بفجوة تعتري روحي؟

لم يكن لابي أي تأثير علي من قبل , بل لم اكن اشعر بوجوده حتى..

أأآه ...

ليضغط على راسه وكان هناك نارًا تتأجج ستخرج من اذنيه ,لم يستطع ان ينبس ببنت شفه ,كان راسه يخوض معارك قد

دوّى صوت مدافعها ليحدث رنينًا في نفسه ,وكأنما هناك اسد يصارع فكره , يزأر بقوه ما بين لحظه واخرى , الهدوء كان قاتلًا له ,الصمت الذي يخيم على المكان كان مطبقًا عليه .

خانقًا بطريقه تفوق المألوف ...

حتى حدث زلزال يزلزل كيان الصمت المهيب ,كان الطبيب قد دخل بابتسامه مختلفة تحمل في ثناياها الكثير ,ابتسمت بتلقائيه ,فسألني :

كيف اصبحت؟

-انا بخير

جلس على الكرسي فاصبح مقابلًا لي وقال :

اتمنى ذلك ,

واردف : اسمك حمزه صحيح ؟

قلت : نعم !

الطبيب : انا الطبيب ليث اعمل هنا ,يبدوا انك خضعت للكثير من الظروف السيئة ,لا عليك ستكون بخير , اثق بانك شاب يافع يستطيع التغلب على كل المعيقات التي تطوقه .

بادلته الابتسامة وشردت عيناي نحو يدي التي تنغرس فيها الإبرة , ارقُبُ قطرات السائل المغذي وهي تتسلل لجسدي ,اكتفيت بالصمت, حتى قال :

ابوك؟؟

رفعت عيناي وكان هناك تيار صاعق قد التصق بجسدي ,لم اجبه فهو لم يسأل ,رمقته بنظرة جُلُّ معناها ما شانك , فلم يعاود السؤال .

ليث....

عملي كان عاديًا , يمضي كما المعتاد الدقائق الروتينية تكرر نفسها فحسب , وقتي يتوزع ما بين مراجعات المرضى , ومساعده بعضهم الاخر , وفي بلد عربي يعتقد فيه الناس انك مجنون , لن تستطيع التقدم بالقدر الذي تريده ,ستظل عالقًا ما بين ساعات الدوام وساعات الراحة .

حتى جاء من يطلبني لقسم الطوارئ , ومن النادر حدوث ذلك ,طبيب نفسي يُطلب لطوارئ!

أووا تزدحم الكلمات في داخل احدنا حتى يأتي للمشفى ,يطرق باب قسم الطوارئ في حاله حرجه , أووا يشكوا الانسان نفسه لطبيب !

ذهبت مُسرعا , لاشك ان هناك من يحتاجني , وليس من شيمي ان اتوانى عن مساعدة احد ,المدهش حقًا انه شاب يافع , التقارير الطبية تشير على انه 20 سنه , امره مُحير ,وكانه قد خضع لعصف ذهني شديد , عرّض دماغه لإجهاد مرتفع لم يسبق له ان تعرض له من قبل .

كنت اشخص حالته وهو يهذي , وكأن هناك اثنين منه في جسد واحد ,روحان تُصارِعان بعضهما , فتغلب احداهما الاخرى , لتسيطر على عضلة لسانه فتبدأ بالهذيان , كان يعتذر اشد الاعتذار لشخص ما ,ظننت انه قد فقد شخصًا يحبه او شخص له حق عليه ,فسالت والده الذي يجلس امام باب الغرفة وملامح الحسرة باديةٌ على وجهه .

اخبرني ان توقعي خاطأ ,وتبدلت نظراته لشيء من الدهشة والغرابة فسألني ان كان قد حدث شيء .

نفيت ذلك لم ارد ان اجعل احزانه تتراكم , كما انه يبدوا انه ليس في حاله جيده لأناقشه في الموضوع , عزمت ان اسال الفتى نفسه عندما يستيقظ , وبالفعل دخلت لأراه .

لم يرد الشاب ان اتدخل , شعرت ذلك من نظرته التي وجهها الي عندما قلت :

ابوك؟

لابد انه لايزال يفكر بأمر ما ,سأتركه ليرتاح واعود فيما بعد لي معه لقاء ....

(٢)

ولدت الشمس من جديد وبسطت اضوائها على امتداد الافق فاحتضنها بشغف , تحركت تلك النسمة الباردة لتمر عبر النافذة المفتوحة فتراقص الستائر وتقتحم دفئ الغرفة, لتنتشله تلك النسمات من اعماق النوم قارعه اجراس الاستيقاظ ...

نهض بتململ شديد ليتأمل غرفته وكانه يراها لأول مرة ,اطال النظر واذ بوهج يتمثل بهيئة ما !

ترى ما هذا ؟

ظلت الالوان تتطاير وتندمج ,محدثه تموج يأسر الناظر ...

حمزه....

اخذت نفسًا عميقًا , وبدأت اردد الاذكار واستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ,لكن الطيف لم يتلاشى !

ابتسمت بسخريه يبدوا اني قد جننت , من العاقل الذي يرى الوانًا حيث الا نور ولا مصابيح ولا ادنى اضاءه؟

بدا الخيال يتمثل بهيئة ما شيئا فشيئا , صورته تضح , كانت الالوان تتداخل بدقه عالية ...

لقد راه الان...

فتح فاه من الصدمة لم يعتقد ان يرى هذا ؟

ظن انه سيتمثل امامه جان او وحش مخيف او حتى ابو كيس الذي كانت تحدثه عنه امه وهو صغير !

انها دراجه!!!

نعم الدراجة التي كسرها عندما غضب من والده , بالرغم من انها كانت اول هديه يتلقاها في عيد ميلاده ...

اختفت الالوان على ايقاع ساعه التنبيه , حان وقت الجامعة , نهض وهو لا يعي ان كان ما حدث حلمًا ام كابوسًا ام واقع ,لم يكن في مزاج يسمح له بالتفكير حتى , خرج وكأنما هناك من صفعه على راسه فاوقف دماغه عن العمل .

توجه بتلقائيه للمحاضرة الاولى , يبدوا ان طريق الجامعة محفوظه لديه في عقله الا واعي , جلس وكانه كتله لا حياة فيها ,ليعلق ناظريه بالدكتور فحسب ....

" لقد ولدنا في هذا العالم وتكبدنا المشقة والتعب , ووكلنا بأعمار الكون ,فتجد ما وصلنا من العلم اكتشفه اجدادنا من كانوا يسكنون الارض قبل وجودنا ...

فهل تعتقدون انهم لم يتعبوا في ايصال ذلك لنا ؟؟

لو اتينا لنقارن الحال بالحال ..

هل سيكون حقًا الاستسلام الخيار الاول والمنفذ الوحيد الذي نلوذ اليه لنعوذ من هذا العالم اذا ما واجهتنا الصعوبات في حياتنا ؟

هل نحن ضعفاء لهذا الحد ؟

في الواقع نعم ! نحن ضعفاء الإرادة ان لم يهبنا اللّٰه قوة من عنده تشحذ هممنا فتتوقد من جديد , الحياه ثقيلة على اكتافنا , تعتصر افئدتنا وتتركها مفتتة في هذا العالم البائس , فان علقت روحك بالدنيا فستخسر , ستشعر وكأنما خسارتك هي النهاية الأبدية , وستعيش فارضًا على نفسك جوا مميتًا من السقم , وستموت وانت لم تحقق الاكتفاء الذي ترجوه بعد.

انظر حولك !

تلفت لترى ما وهبك الله من خيره العظيم , نحن ننهل من عطائه حتى في خضم المعارك التي تواجهها ونخسر فيها , فتلك الخسارة هي التي ستجعل منك ثابتًا كالطود العظيم ...

الن تتوقف عن ندب حظك العثر ؟!

والقاء اللوم على الزمن والظروف والقدر ؟

يكفيك جحدًا لما انت فيه من النعم ."

كلمات الدكتور استقرت في ذهنه , بدأت زوابع الافكار تحرك ما رقد في دماغه , فقرر زيارته في مكتبه , مضى وهو لا يعلم كيف وصل للمكتب ,طرق الباب ثلاثًا ودلف للداخل ليقول :

المعذرة ,هل لي ان احظى من وقتك بالقليل ؟ انا حقا احتاج للمساعدة .

ليقول بصدر رحب : تفضل يابني ,قل ما عندك .

ترددت قبل ان احدث , كنت اخشى ان يخبر الجميع باني قد جننت , لكن لابد من الشجاعة , فانا واثق ان ما رايته كان حقيقي , اخذت نفسًا عميقًا وبدأت بسرد قصة

لم تكن بالمأساوية , لكنها كانت بمثابه حرب طاحنه تعتصرني .

لأقول :انا لا اذكر من طفولتي سوى دراجه احضرها لي ابي في يوم مولدي , لقد صادفت تلك الدراجة اليوم صباحًا على هيئه وهج منير

تنهدت

اتعلم !

كنت غاضبًا في يوم لان والدي لم يستمع لما اردت ان اقول , كان يكتفي بفرض الاوامر فحسب , وانا لم اكن اتقبل ذلك , ما ان كبرت حتى اعتدت على التمرد شيئا فشيئا ,قمت بكسر تلك الدراجة في حاله من الغضب , شعرت وكأنما قد كسرت شيئًا فيه , وعلمت لاحقًا ان والدي كان يقتطع من راتبه ليستطيع توفير بعض المال لشرائها ...

لم اكن اهتم ولم ابدي أي علامه تدل على انني ندمت , لكن الان بدا شعور غريب يجتاحني , رهبه تتخللني كلما وقفت امام ابي لأنظر في عينيه , وكأنما هناك شيء ما يحدث ؟

قال:يابني ... استمع لي ,الحياه لن تهبك ما تريده دومًا , لن ترى ما تريد ان تراه في الصباح ولن تنعم بالراحة التي تريدها , ان لم تزرع شيئًا ما في داخلك ,انت تفتقد شيئا يا عزيزي , ابحث عنه داخلك . ولا عليك عد لأبيك اثق انه سيسامحك .

قلت : وما هو ما افتقده ياعم , قل لي ارجوك ؟

قال: الحياه تضج بالأسرار , ولكل منا سر عليه ان يبحث عنه في حياته , فابحث عما تفتقده من سعادة , لكن تريث قبل ذلك , فقبل ان تشرع بعمليه البحث عليك تجريد ذاتك من شهواتها , ان تنظر للحياة بقلب نقي , نظره ليست بدافع الرغبة والسيطرة والتملك ..

ابتسمت اظن اني اكتفيت , نهضت وشكرته على قاله واستدرت لانصرف حتى قال :

بني ابتسم مهما يكن انت تبدوا اجمل بكثير عندما تفعل ذلك .

اردت ان اريه ابتسامتي فالتفت اليه لم ارى شيئًا , لقد اختفى من على كرسيه كالسراب , وكأنما ابتلعه الهواء !

ادهشني الامر ومرة اخرى ظننت اني فقدت عقلي , لكني لم افعل , فها انا ذا افكر !

امن المعقول ان يفكر فاقدوا العقول ؟

هناك ينبوع في داخلك ...

فلا تتجول بدلو فارغ ....

جلال الدين الرومي

(٣)

قررت مغادرة الجامعة , اشعر وان الجميع اطياف ستختفي فجاءه وتتلاشى ,انا اخشى ذلك حقاً ! اخشى ان يختفي الجميع واظل انا ؟!

في طريقي للمنزل , اترقب الطريق بعيون متلهفة انتظر منه ان يختفي ايضًا لأضيع مجددا , لم اشعر بالوقت كيف مضى , كنت غارقًا في ذهني الذي لم يكن فيه سوى هذه الفكرة تتخبط وتعدوا كما الثور الهائج , وفجاءة!

وجدت نفسي اقف امام عتبات بيت متهالك , واشجار ذابله تحيط به ,المكان هو نفسه مكان منزلي ولكن اين هو؟

هذا بناء مهجور , يبدوا انه قد رث من طول ما لبث , نظرتُ بعينين خاويتين نظرة تشي بالكثير , ودخلت .

صعدت الدرج لأصل لطابق الثاني , حيث كنا نقيم , لأسمع صرخات مفزعه ترتعد لها الاجساد .

كانت تأتي من ناحيه الباب , دخلت دون ان اطرق الباب لشده فزعي , هالني ما رأيت ..

عجوز هرمه تجلس على الارض , تبكي بمراره , كنت اود سؤالها من هي ؟

وكيف اتت الى هنا ؟

لكنها رفعت راسها ونظرت في عيني بعينيها الباكيتين لتقول بنبره يحتلها الاسى :

لقد قتلوا ابنتي فلسطين امام ناظري ,وشردوا ابنتي سوريا الاخرى من حضني , ودفعوا بالعداوة في قلوب ابناء العراق فانفطر قلبها وقلبي , رأيت الكثير يا بني , اشعر بألم كبير يتقوقع هنا .

– اشارت الى صدرها - واخذت تبكي ..

قلت محاولًا ان اجمع كلمات تناسب الموقف :

انا حزين حقا عما حل بك وببناتك ,لكن هل لك ان تخبريني من انت ؟؟

لعلي استطيع مساعدتك في العودة لديارك ..!

فقالت :أي ديار تلك التي ستأخذني اليها وقد هُجرت داري ؟او تتسأل من انا ولم ترى فيه اسمي , انا يا بني النور الذي

غلفه الظلام ,انا وجه قد بهتت ملامحه , واختفت ابتسامته , شخص يحن للأيام الخالية , ايام المجد والعز , عندما كنت اعيش بسلام , ارقب بناتي كيف يكبرن , وحولهن اولادهن يبتسمون لبسمتهن , انا استقر في كل قلب , انا القومية التي تنتفض في داخلكم جميعًا ...

قلت مبتسمًا : أووا تسكنين كل القلوب يا خاله ؟؟

ردت : ليست كلها يا بني , لقد قتلت قلوب لا زال اصحابها احياء , يبدوا ان قلوبهم قد توقفت عن العمل ؟!

قلت وقد فهمت ما ترمي اليه :

لا يا اماه لقد قتلت انسانيتهم فما عدتي تشعرين بهم , هل لك ان تخبريني باسمك الحقيقي ؟

تجاهلت سؤالي وكأنها لم تسمعه , ونظرت نحو الباب بترقب , وكأنها تنتظر احد قطع لها وعدًا بالعودة وقد شارف على الوصول , قالت :

عليك ان تذهب من هنا المكان لن يكون امنًا بعد الان هناك خطر قريب .

قلت وقد اغضبني انها تريد ان تطردني من بيتي :

بل انتِ من عليكِ الرحيل , اعتقد ان هذا البيت بيتنا , ثم اين والديّ ابي وامي ؟؟

ابي ... لقد اصدرت الكلمة وقعًا مختلفاً في داخلي , فحركت الاف الزوابع وايقظت مئات الاعاصير ، اين ابي؟

لقد فقدت تركيزي على ما يبدوا , فأجابتني :

عليك الذهاب يبدوا انك تبحث في المكان الخطأ.

قلت والحيرة تتكبدني :الى اين اذهب ؟

انا لا اعلم وجهة سوى هذه ؟

ثم اين من اعرفهم ؟

قالت : اسمع يا بني انا حقا لا افهمك ولا اعلم عما تتحدث , لكن هل تعتقد ان هذا المكان هو منزلك حقا ؟

ايقظنني سؤالها من غيبوبتي , فتلفت لأتمعن في اركان المنزل , اجول بنظري بين جنباته استعيد ذكريات قد خُضتها على ارضه , وبصوت متعب اتاها ردي :

نعم ! لكن, يبدوا ان بريق المنزل قد اختفى , كل شيء اصبح حزينًا مثلي انا ...بهتت الوانه التي كانت تنبض بالحياة ...

لتقول :

انا لا اعلم عن هذا المنزل سوى انه هجر قبل حين , كنت اعلم انه منزل المودة والحب , فأتيت سرعان ما سمعت خبر هجرانه لأتفحص حاله , واكذب مسمعي , كنت اتمنى ان يكون خبر هجره اشاعه بائسه يتداولها محبو الاشاعات .. عليك الذهاب الان .. اسلك ذاك الباب سيخرجك من هنا .

قلت وفي ذهني الف سؤال : من هم ؟

تحدثت وهي تدفعني نحو الباب :

اولئك القتلة ستعلم هويتهم لاحقا .... اذهب يا بني وتوكل على اللّٰه فما خاب عبد توكل عليه , وكن شجاعًا وثبت ,كان اللّٰه في عونك!

ادخلتني من باب لأول مرة الحظه في حياتي , واغلقت الباب ,فمضيت في طريقي المجهول ...

الحياه ليست بحثا عن الذات ..

ولكنها رحله لصنع الذات ..

اخلق من نفسك شيئا يصعب تقليده ...

سقراط

(٤)

كان طريقًا ضيقًا , وعلى كثرة غباره كان وكانه يمضي في رئة مدخن ,ها هو يتقدم نحو المجهول , ضحك وبدا يحادث نفسه :

ماذا يحدث لي ؟

ما الذي غير العالم ؟

كان ابي دومًا يقول لي :

كن حذرا يا بني , وترقب المفاجئات وخذها بعين الرضا , فالابتلاءات امتحانات لا يجتازُها الكثيرون .

ايعقل انني في امتحان الان ؟

هل هذا ابتلاء لي ؟

تحسس راسه ومرر يده بين خصلات شعره , ما خطر في ذهنه هو انه يحلم الان , واي حُلم هذا , هذا كابوس لعين من عمل الشيطان . جرب صفع خده ليعلم ان كان نائم ام مستيقظ لكنه لم يكن يحلم بالطبع , فالألم لا يتسلل اليك في الحلم , الاحلام تكون مرور احداث وصور , ترى فيها الكثير

وتتمنى دوام بعضها وزوال الاخر وكأنك تشاهد فيلمًا في السينما ...

مضى وقرر ان يفكر بما حدث معه ,الاحداث الغريبة التي حدثت باستمرار وبسرعه مدهشه , والده الذي لم يره في المنزل وتلك العجوز التي بدت هائمه على وجهها , تتحدث عن بيتهم انه بيت مودة وحب ...بدا يحصي الاحداث ثم خطر بباله اسمها الغريب ليهمس لنفسه :

القومية العربية ..

اين سمعت بهذا المصطلح , يبدوا مألوف .. ؟

القومية العربية , اليست امرا يدل على الوحدة ,لحظه ! الم تقل ان بناتها هن فلسطين وسوريا والعراق احقا هي الوحدة العربية التي تشتت في ظل ظروف صعبه !احقًا بُترت تلك الاوصال التي كانت تمتد لتربط قلوب العرب بعضهم ببعض؟!

ستكون مأساة اذا ما نسي العرب اصلهم , وتخلوا عن وحدتهم , فهل اصبحت هذه المأساة قائمه بالفعل ؟

لم يكمل تفكيره لأنه رأى بصيصًا من النور يتسلل من فوهة بعيده , من كم فرحته , جرى نحوه بشغف كبير ,بدا الفضول ينهش قلبه , ذاك الذي افتقده منذ زمن , دفعه احساسه لاستعاده ذكريات قد غفل عنها ..

احيانًا نمر بمواقف لا تؤثر فينا , فنتذكرها فيما بعد كحلم , كنغمه دافئة , كابتسامه .

تذكر جده الذي كان يراه وهو يلاحق الاخبار الشيقة :

فضولك سلاحك ايها البطل لكنه ذو حدين ,فاحسن استعماله .. مضى وعلى ثغره ابتسامه منتصر فقد وصل .....

رحله جديده ...

الابأس ان يكون ماضينا افضل من حاضرنا .
ولكن الشقاء الكامل ان يكون حاضرنا افضل
من غدنا ... يالهاويتنا كم هي واسعه !

محمود درويش

وكأني انتقل بين العصور !

رجال يرتدون ثيابًا عسكريه على جنوبهم تصطف الخناجر وبين ايديهم تقف السيوف والرماح , نظر لهم فرأى عيون لا يعرف الخوف لها دار ,قلوبهم متسلحة باليقين , ثوان معدودة والتحم الفريقان , واحتد القتال ..

مضى حمزه يجر خطاه بعيدًا عن المعركة والسفك الدموي الذي يحدث , وصل لقريه قريبه فمضى في زقاقها , ليبتعد عن الجموع , قليل من الوحدة سيفيد الان , اتعبه السير واهلكه تزاحم الاحداث , فوقف مستندا على الجدار يفكر بصوت عال :

اين انا يا ترى اين انا ياترى؟

في اي عصر اصبحت ؟

واي حقبه من التاريخ هذه ، زمن السيوف والرماح !

ضحك واردف:

لو كنت جادا في دراسة كتاب التاريخ فمن المحتمل اني كنت سأعلم اين انا لكن لم اكن اعتقد ان له فأئده تذكر، حقا عالم تسوده المفاجئات!

جلس ليرتاح قليلا ليسمع صوت معدته المتأففة ، يبدوا انها جائعه للغاية ، وهو لم يدرك ذلك لهول ما حدث ، تكور حول نفسه ، يحتضن اعضائه ليربت عليها بحنو ، اذا ما كانت ظروفك عثره ستحتاج لحضن دافئ لكي تتحسن حالتك، جال بفكره صوره الدكتور الذي تبخر وكانه قطره ماء في المحيط ، اخذ يسترجع كلماته ماذا يفتقد ؟

وما السر الذي اخبره ان يبحث عنه ؟

اين سيبحث؟

هو لا يعلم حتي ماهيه ذاك المفتاح الذي يحتجز السعادة خلفه.

لحظات وغلبه الوهن ، نام لشده الاعياء ، وارتفعت حرارته مجددا ...

فتح عيناه بصعوبة ، تلفت ليلقي نظره خاطفه عن المكان الذي هو فيه ، كان في غرفه جدرانها مبنيه من الطين ، اشتم انفه رائحه الطعام وماهي الا لحظات ووقع نظره عليه ، منضده صغيره دائريه الشكل مخدوشة الجوانب لها ثلاثة اقدام ،عليها صحن قد جبل من الصلصال فيه بعض من الحساء ،وبقايا خبز جاف بجواره .

حملت الصحن وانا اتوق للطعام، معدتي تعزف الحان لا تكاد تحتمل، ؛ تحسست الحساء فوجدته دافئًا ، يبدوا انه لم يكن هنا منذ مده طويله ، ياترى كم من الوقت نمت ؟

سؤال تردد في داخلي ، لكن وماذا في ذلك؟

هل يهمك الوقت ان لم تكن تعلم اين انت ؟

تنهد بعمق بعد ان انهى طعامه، ابتسم ومسح على راسه ليدفع في نفسه شيئا من الطمأنينة، نهض من الفراش، الان انتبه لتلك الكوّه التي تنساب منها الاضواء ،ليقول :

-نعم الظلام خيّم يا حمزه، لقد تأخرت !

ثم قال ممازحا اياه:

وماذا في ذلك؟

انا لا انتظر شيئا في الواقع!

لقد جننت يافتى اتداعب نفسك وتلقي بالنكات !.

وضحك وهو يلقي بجسده على الفراش

قرر العودة للنوم لم يكن مستعدا لمواجهة حدث جديد في الظلام، ثم ان الليل قد خلقه الله للراحة لا للعمل، الم يقل

اللّٰه سبحانه: (وجعلنا الليل لباسا ❖ وجعلنا النهار معاشا) حسم الامر سأخلد للنوم والغد سياتي بعد ساعات ليشبع فضولي .

ابتسمت، انا سأنام في مكان لا اعلمه؛ في بيت شخص لم اره طوال حياتي ، اليس الامر شائكا!؟

تذكرت سريري الدافئ ،عذوبه اصوات والديّ عندما كانا يناديان من وراء الباب لأ صحوا ، آآه هناك اشخاص حتى ذكرياتهم تشعرك بالدفء؛ اطيافهم تقيم في ذاكرتك، اغمضت عيني استسلمت للنوم متجاهلا الصراع الذي في داخلي، ونمت بسلام مزيف ...

بعد نوم طويل نهضت، فتحت عيني بتباطؤ لم ارى احدا، ايعقل ان صاحب الدار قد هجرها بعد قدومي ام انه قد تلاشى؟

ضربت راسي بخفه تذكرت اني لم اصلي صلاه الفجر وكما يبدوا ان الظهر قريب!

اخذت الغطاء الذي نمت متلفحا به نفضت الغبار عنه، وفردته على الارض، رحت ابحث عن ماء فلم اجد، تذكرت فعل

النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، ضربت كفي بالتراب ضربتان ومسحت بعدهما وجهي ، ..

توقفت ،

القبلة !

الى اي ناحيه اصلي ؟

لم اهتدي لها ، اردت الخروج لسؤال احدهم لكن سرعان ما نفضت راسي لأبعاد تلك الفكرة، فلا احد يعرفني قد يظنون اني سارق او حتى قد يتلاشى البيت، عزمت في نفسي انه علي ان اصلي الان .

توجهت حيثُ دلني قلبي، وكبرت تكبيرة ارتعدت على اثرها اركان جسدي كله، لحظات تنفست فيها السكينة، سالت الله الفرج، وسالته ان يهديني لطريق الرشاد، عذوبه لا توصف، فالعبادة بعد اكوام من المشقة، تسكب الراحة النفسية في الجوارح لتخمد نيران قد حرقك لهيبها، سلمت ، وانتهت صلاتي، قرات بعض من التسابيح والأدعية التي احفظها ورددت آيات القران، شعرت بالأسف يبدوا اني لا احفظ الكثير منه ، تغمدني الحزن ، حتى

الآيات التي كنت احفظها لم اعد متمكن منها ، جددت نيتي انه وعندما اعود سأعود لمصحفي لصفحه جديده بيضاء تخلوا من هذه الشوائب، قررت الخروج من هذا المكان لا احب الاختباء هنا كالجرذان ..، اعدت الغطاء لمكانه وددت لو اني املك ورقه وقلم لأكتب لصاحب البيت رساله شكر على ما فعله لي، لكن لا يوجد ، رفعت يدي للسماء ودعوت الله ان يجزيه على ما فعله خيرا ، وفتحت الباب لا خطوا اول خطوه لي في القرية المجهولة الاركان، بدت خاليه من السكان حتى ظننتها مهجورة لا يسكنها سوى الطيور والحمام والغربان، دلفت من طريق فرعيه، لتوصلني الى طريق طويل وعريض يعج بالأصوات المناديه، سوق ضخم، يقف فيه البائعون ليروجوا لبضاعتهم، مضيت وانا انظر لهذا وذاك، اراقب المكان وملامح الدهشة تكسوا وجهي ، لم ارى هذا المنظر في حياتي قط، توقفت لحظه جذبني الفضول لذاك البائع الذي يجلس على الارض امام بساط قد فرش بالزهور يحتضن قدميه ويغرق بينهما راسه،

لا يصرخ باسم ما يبيع على خلاف الاخرين ، سالت ولم ادري ما لذي دفعني لفعل ذلك،

قلت:

-اانت بخير ياعم؟

رفع راسه ونظر لي نظره ملؤها الشوق، هبّ ليحتضنني ويقول:

ولدي ولدي لقد اشتقت اليك ...

لا املك اي رده فعل لما يحدث، ايعتقد حقا انني ابنه؟ !

❖❖❖

المأساة الكبرى التي تسقيك اياها الحياه ان تدفعك لتتعثر بالتسعة وثلاثين شبيها لمن فقدت ..

احتضنه بشوق الوالد لولده ، فقد ظنه ولده الذي قد فقده إثر حادثه مجهولة، حاول حمزه ان يتملص من بين يديه ثم بدا يحكي له حكايته ليعلم انه ليس بابنه.

بدت علامات الاسى تغزوا وجه الاب، ليقول بنبره تنبأ انه سيبكي بعد قليل :

ظننتك يوسف، انت تشببه بل وكأنك هو!

حمزه:

لابأس يا عم لا عليك، لقد اخبرتك بقصتي فهل لك ان تخبرني عن يوسف؟

تعمدت ذلك شعرت بان استعادته لذكرياته ستؤنس وحدته هذه، ليقول:

كنا نجتمع حول المنضدة التي نحب ، نجلس فتبدا الاحاديث بالانسياب، كان شابا في مثل عمرك، لم يكن يحب ان يعمل معي في حقل الورد، وانما فضل تعلم اساس التجارة، حتى اصبح تاجر ماهرا، ومعروفا في قريتنا، بعد فتره من استمراره في العمل، تغير ولدي لم يعد صغيري المدلل، قلت لنفسي انه المال يفعل الكثير ،لكن لم اشأ اخباره بتغيره ،اريده بجواري فقط، في يوم ،دخل غاضبا ملامحه قد بعثرت في وجهه، نظرت له بقلق لأساله، ما به، فغضب وصرخ في وجهي وقال لي باني السبب، واني من تسببت بتعاسته ،شعرت بالغصة، اينسب تعاسته الي؟! وانا الذي ذبلتُ في الحقول ، واحببت المشقة لأجله !

ايعقل انه انكر كل ذلك ببساطه؟ !

نظرت له نظره تعبتْ من ملاحقتهٍ وهو يمضي ذهابا وايابا ..

نظرت لملامحه التي وطئها الحزن واجهدتها الايام، يبدوا ان الزمن قد فعل افاعيله في وجه هذا العجوز!

دققت النظر كان الهم قد مضى يشق شوارع في بشرته، لقد فقد هذا العم طاقته التي كان يستخدمها لمصارعه الايام. والان تراه جسد قد فقد روحه التي كانت تبثق فيه الحياه ، غابت شمسه التي كان يستمد دفئه منها ولم تطلع منذ ذاك اليوم ، منذ ان خُطِف يوسف .

اشفقت عليه !

كم هو من مؤسف ان تفقد روحا قد اعتدت عليها ، والفتها ، شخصٌ قدمت له قلبك على طبق من ذهب، ورد اليك جميلك بالتجاهل والنفور...

بعد ان انهى حديثه الذي اعتقدت انه سرده بالمختصر لصعوبة استذكاره تلك الاحداث .

تركني انفرد في غرفه، اغرق في افكاري، احاول مواجهة الامواج المتلاطمة ، وكلما احسست انني سأصل للحقيقة، دفنتني المياه بين دفاتها وغرقت من جديد. لم يعلم احد اني لا احسن السباحة ليتني لبيت رغبه ابي الجامحة في تعليمي اياها.

لكن ليت وما تفعل الان؟

لم اقتنع بقواعد اللغة العربية الا اليوم، فقد تذكرت ان ليتَ تفيد التمني، وكيف لأمنيات ضائعة ان تعود؟ ! لن يعود الزمن ادراجه للوراء مهما قدمت له من رشوات، انه يحتمل عصياننا فحسب ،يداري اهترائنا ،ويلقي بالخيبات على عواتقنا!

من المحتمل ايضا اننا نحن من نفعل ذلك، من نلقي بأنفسنا الى التهلكة، ونقتاد ذاتنا الى حيث العكوره ،ربما نكون نحن من نلقي بالخيبات على انفسنا لتكسر ظهورنا ، نبني الماسي في افكارنا ونتخيلها احداثا على ارض الواقع، اآه راسيي يكاد ينفجر، ماذا سيحدث لي بعد هذا ؟

هل سَيُفَحُ لي باب جديد يقودني للمجهول ؟

ام ستتلاشى هذه القرية وانا والجميع؟ !

ايعقل اني مت؟

هل هذا عالم البرزخ؟

هل يموت المرء دون ان يدرك ذلك؟

مالذي يحدث لي؟ !يبدوا اني على حافه الجنون، لماذا اتذكر والدي الان؟

انا حقا اتمنى قدومه ، وددت لو انقض على حضنه، اطلق لدموعي العنان، ارثي الحاضر، واعتذر، اطبع قبلات التوسل له بالرضى علي على جبينه !

لا اعلم كم الوقت الان ،ولا اريد ان اعلم، لم يعد ذو قيمه افكار تتصارع في راسي اشعر وكأني احمل قنبلة لا راس، قنبلة موقوته ستنفجر بعد ثوان، وعلى صوت هذا التضارب الفكري الساحق غفوت، غفوت وانا اتمنى ان يستمر ذلك طويلا ..

صوت غريب لطبول تُقرع ، تتسلل لاذني، ومن ثم لحلمي، انه انذار يُنبئ بنفاذ وقت الراحة، كان اخر ما رايته ابي، يبتسم

لي ويودعني ملوحا بيده، حلمت به ، يتحدث بجمل اثارت دهشتي وانا احلم، لا اذكر شيئا من تلك الجمل، هذا مؤسف !

نهضت وهممت بالخروج لأتفحص هذا الصوت القادم من وراء جُدر، تحركت بخطوات قد اكتسبت قليلا من النشاط بفعل فضولي الذي كما يبدوا انه يقتادني للموت لا محاله، الغريب اني لم ارى العم هنا! ترى اين ذهب؟ !

مضيت لخارج المنزل، فتحت الباب والفضول يفترس قلبي من كل جانب، نظرت وصعقت بما رأيت، هناك جنود تحمل سيوف ورماح تقف لتحرس المكان، وناصيه كبيره تتدلى منها جثه معلقه ،قد لفظ صاحبها اخر انفاسه ، اانا في فيلم مخيف؟

ام اني لازلت احلم؟قررت التقدم بين الجموع لعل اذني تلتقط بضعا من قصة صاحب هذا الجسد المُدلى، فَتُشبِع تلك الكلمات القليل من فضولي، وبالفعل خُضْتُ مع الجموع... كان الناس يقذفونه باغلظ الالفاظ، يسبونه، ويشتمونه، ويقولون انه يستحق، للحد الذي قلت فيه لنفسي

انه رجل سيء قد ارتكب جرما شنيعا ، ماذا فعل؟ لم ابتدأ سلسله الأسئلة المتتالية بعد ،حتى رأيت فتاه تقف مبتعدة عن الحاضرين ، عينيها لا تكاد تحكم الاطباق على دموعها ، وكأنهما غيمتان ستطلقان وابلًا من الودق، كلما سقطت احدى القطرات مسحتها قبل ان تسمح لها بان تبلل وجنتيها ، حِرتُ في امرها ، فقررت سؤالها من تكون، اقتربت منها دون ان تلحظ كانت تُتمتم كلمات بصوتٍ مسموع لم اسمعه جيدا في البداية لكني اقتربت اكثر فاكثر وقفت حتى اتضحَ لي ما تقول...

رحمة..

انا أتألم بحق، وكيف لا وانا ارى جثة اخي الحبيب تتدلى من حبل و تتراقص امامي ، كيف لدموع ان تُرثيك يا اخي؟ أثق انها لن تستطيع ،وكيف للكلام ان يحرز وقعا يليق بك؟! لا اذكر سوى انك كنت خُلقا فاضلا، ولا ادرك ذنبا قد اقترفته سوى انك كنت مؤمنا تقيا، لقد بلغنا ذاك الزمان الذي تحدث عنه صلى الله عليه وسلم ،الان القابض على دينه كالقابض على الجمر، والمتمسك بأخلاقه لا محل له في

عالم اجتاحه الطغيان، رحمك اللّه يا" نبض "قد كنت تحي القلوب بذكر اللّه، كنت تهمس بالقران لتغمر الجسد السكينة، كنت تحاول في قلوب متحجره ان تيقن ان لا راحه للنفس الا به، وان عليها ان تنبض، لكنكَ رُفِضت لابأس ان هذه مشيئة اللّه وحكمته، انه الخير قد اتاك، ستعود القلوب لتنبض من جديد يااخي ، لابد وان يأتي خيرٌ جديد ليحييها ...

توقفت عن الكلام لقد لاحظت ان هناك لصًا يستمع لما تقول، نظرت نحوه نظره خاطفه، ارادت الاحتفاظ ببضع من ملامح وجهه، ثم ركضت، كانت سريعة جدا كالعاديات تريد الفوز بالسباق، حاول حمزه اللحاق بها، لكنها فاقته سرعه، فظلت متقدمة، ظل يركض ورائها ليعتذر وليطلع على ما تخفيه، ومن يكون نبض، ومن هي؟ ؟

بات يدرك ان هذا المكان بمثابه الكواليس للواقع الذي نعيشه، عليه ان يجد تلك الفتاه، ليحمل ما تحمله من قيم، ان هذا قد يكون الحل الوحيد لعودته لعالمه ولتعود الامور الى مجاريها...او انه الحل الوحيد الذي قد فكر به...

❖❖❖

هذا العالم يقيم حرب طاحنه ضد الاخلاق الجيدة ، هل اصبح الناس سيئين لهذا الحد، ام ان الاخلاق الجيدة باتت امرا قديما، وهل يمضي الزمن على الاخلاق فيغيرها هل تهترئ وهي لاتُرى؟ !

كانت تجري بسرعه كبيره حتى رايتها تدخل لمنزل ما ابوابه مشرعه، قللت من سرعتي حتى اصبحت اخطوا بثبات، التقط انفاسي التي تسارعت مع ركضي الشديد، اقتربت حتى وصلت الباب، كان منزلا عامرا فيه من الناس ما يناهز المئة، من صبيه وكبار السن ونساء يجلسن في مكان مبتعد قليلا، الجميع يصغي لما يقوله كبيرهم الذي يجلس على كرسي مرتفع، عيونهم مثبته على كل ما يفعله من حركات، كأنهم يتلقفون الكلمة ويتلهفون لسماع ماسيكون بعدها، نظرت بحثًا عن تلك الفتاه التي لا اعرف اسمها ...

الجمع كثير، يصعب ايجادها في مثل هذه الظروف، قررت الجلوس بعد ان تسلل الي شبح الياس ،لاستمع لما يقوله هذا

العم...

كان يجلس على الكرسي المرتفع كما يتربع الليث في عرينه، ينظر للجميع باسمًا ويتحدث بطلاقه وكان الافكار تتدفق اليه كما يتدفق الماء من النبع، حتى القى نظراته علي، فنهضت من شرودي لاستمع له . لاحظت ارتباكه بعدما لحظ وجودي بدا يتلعثم لكنه تابع السرد، بددت ذلك باني جديد هنا، ربما لحظ غرباه ثيابي او شيئ اخر

ليقرا بصوت عذب قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾. سوره الحديد، 13.

ليردف: ان المؤمنين يمشون بنورهم وان المنافقين قد اطفئ الله نورهم فما عاد لهم من نور يهتدون به، فيخاطبون المؤمنين ان انتظرونا لننال من نوركم لكي ننجوا من العذاب ،فقيل (ارجعوا وراءكم) وابحثوا عن نوركم هناك، وهذا غير

ممكن بل هو محال، ثم يضرب بحائط منيع وحصين بين المؤمنين والمنافقين، فيه رحمه من ناحيه المؤمنين وعذاب من الناحية الاخرى ،فكان جزاء من قدَّم عملًا لم يقصد به ارضاء اللّٰه وانما كان هدفه ان يعلوا بعين من هم حوله او رياءًا للناس وسمعه ، ان يذهب عمله وجهده ادراج الرياح، وكان ما عمله هبائًا منثورًا ، فيكون يوم القيامة كالسراب ...هكذا انتهى درس اليوم وما سننفذه اليوم هو ان نصفي نيتنا ونتفكر بما كانت عليه، وماهو عيبها؟

اكانت خالصه للّٰه؟

اكان هذا هدفك؟

ارضاء اللّٰه سبحانه الذي خلقها لعبادته، هل قامت نفسك بفعل ما خلقت لأجله؟

القى اسالته ونظر الي بنظره لم افهم معناها، اشار لي بيده ان اتبعني، تلفت حولي لعل اشارته لاحد اخر لكن الجميع كانوا ينظرون للأرض بخشوع تام ، فعلمت اني المقصود، فتبعته.

كان الامر شديد الصعوبة نظراتي كانت مصوبه نحو الارض لكي لا ادوس شخص ما اثناء مسيري، حتى تعثرت فسقطت ، نظرت للأرض وقتها ، كانت ذرات الرمل تمسك بأيدي بعضها البعض في حب ووئام، قاطعني من شرودي اليد الممتدة لي لتساعدني، كان هو ذاك الرجل الذي قدم الدرس قبل قليل. وضعت يدي بيده فنهضت معه اخذني عبر ممر ضيق الى غرفه مغلقه، ماان دخلت حتى اغلق الباب بالقفل وابتسم، نظرت لابتسامته بتعجب وقلت:

-ماذا تريد مني

ليقول وقد اتسعت ابتسامته:

-لقد كُلف الجميع بالبحث عنك، انت غير مصرح لك بالبقاء هنا، ما كان عليك الدخول لثنايا العالم، فتتعمق بما يحدث، كان عليك ان تصدق ما تراه عينك ظاهره وتسمع به فقط .

قلت وقد زادت حيرتي :

-لكن ليس كل ما تراه العين حقيقه، هناك الكثير ممن يدعون شيئا ويسرون شيئا اخر، كمثل المنافقين الذين تحدثت عنهم.

ليقول وقد بدا يتجول حولي:

-الجميع لديه جانب منافق، لا يستطع شخص ان يصرح بالحقيقة المطلقة ، القصة لابد لها من اضافات، والاشاعات لابد من تهويلها ،انها قوانين لا يمكن لشخص ان يخرقها، ومن يتفكر بحاله سيحدث له ما حدث لك.

قلت وانا ارفع حاجب:

-وماادراك بقصتي؟

-انت !انت اردت البحث عن نفسك في مكان بعيد عن حدود اسرتك، عصيت اباك ونظرت له دوما نظره كره، كنت ابنا عاقا ، لكنك في حياتك كنت تحب الخوض في التفاصيل بالبحث عن الحقائق، كنت تسعى لإيجاد المشاعر الخالصة والاخلاق السمحة، وما ان سعيت في ذاك الباب حتى حدث لك ما حدث، ليس عليك ان تبحث عن شيء وانت

ناقص لم تكن شخصا جيدا ابدا. ولن تكون
قلت بثقه:

-الجميع يبحث عما ينقصه، انا وانت وكل العالم، لا يهم مدى بلوغ دنائتك، ولكن المهم مدى بحثك عما تريد ان تكون، رغبتك في ترميم اخطائك، وصنع منها حبلًا للنجاح ،لتصبح افضل. كما اني اعترف بسوئي، ولكن تعلمت درسي جيدا سأعود لأقبل قدم ابي، واعتذر له عما بدر مني.
تحولت نظراته لتصبح مخيفه وقال:

-اتظن ان دخول الدار كخروجها ، لن تذهب الى هناك ابدا ، لن ترى عائلتك، ولن اسمح لك بجمع الاخلاق الحسنه.
قلت باستهزاء:

-هل لك ان تقول لي من اي فئه انت؟

رد بعدم فهم:

-ماذا تقصد؟

-كنت تتحدث اثناء وعظك للناس عن فئتين احداهما ضاله واحداهما ستجد نورها يوم القيامة، ما دمت حكيما للحد

الذي جعلك تقيم دروس الوعظ، اذا تستطيع ان تقول لي من اي فئه انت؟

رد بغضب:

ما شانك؟

-لن يستجيب لك احد ما دمت تعامل الناس بعكس ما تقول، انت منافق اذا؟

رد بنبره يحاول جاهدا فيها ان يكتم غيظه:

-اخرس

قلت:

-يقول الله تعالى (يايها الذين آمنوا لمَ تقولون مالا تفعلون) وبما انك هكذا فانت لست منهم اي من المؤمنين.

سكت قليلا وعلامات الغضب تأسر وجهه فقلت :

-والان من فضلك ايها السيد دعني اخرج من هنا وافتح هذا الباب.

نظر لي نظره مرعبه، لوهله اعتقدت انه ينظر بعيون ابليس ليقول بصوت اشبح بفحيح الثعبان:

-وماذا ستفعل ان لم افتح الباب لك؟

صمت لم يكن لدي جواب ليقول:

-سأجعلك تتعفن هنا ، وانا ساستمر بألقاء ما اريد في عقول الناس اتظن ان جميع الناطقين ينطقون بالحق؟ ام ان الجميع ينفذ ما يقول ؟اذا ما اردت ان تؤثر على شخص فخاطبه بالمنطق مره واحده وبعدها سيستمع لك في كل ما تقول . قال اخر ما قاله وتلاشى على هيئه كومه من الدخان. ما هذه المصيبة التي قد وقعت بها ، واين المفر من هذا الان ؟ حاولت فتح الباب ،ادفعه بقوه لكنه لا يفتح، جلست على الارض ،لقد حِرت فيما سأفعل الان. ان صرخت من ذا الذي سيسمعني وانا هنا تحت الارض لكن لابد من المحاولة ،اخذت اصرخ: سااعدوني ...انا هناااا ساعدوني ارجوكم

صرخت وصرخت وصرخت وصرخت ولا مجيب، جلست على الارض من جديد، تمددت اشعر بالجوع، والتعب، ولكن انى لي ان انام وانا لا املك غطاء ؟!

حاولت اغماض عيني، الجوع يقرصني والبرد كذلك، كلما هممت ان اغمض عيني حتى رأيت ابي ، آآآه ...انا متعب يا ابي، هل لك ان ترى حال ابنك الذي كنت دوما تحرص على راحته، وتطمئن عليه هل تناول عشائه ام لا ،وتطرق باب غرفته ليلا لتحكم عليه غطائه حتى لا يصيبه البرد، ابي! لو كنت هنا ، لو لم اغضبك يوما!

اغمضت عيني هذه المرة، وانا أتألم، ان فؤادي يعتصر حسره، قد تجرعتها طوال معيشتي ،عندما كنت اخفي ضحكتي امام ابي واخفي مشاعري تجاهه، عندما كنت مبتعدا عن رضاه ،ابي ..ليتك هنا لتنظر لي، ليتك برفقتي الان، تمسك يدي تربت عليها بحنو، تتغمدها بين يديك الدافئتين، ورائحتك تضفي عبيرًا للجو....اشعر بالألم .... اخذ يضرب على صدره ويتلوّى في الارض، كان الياس قد اكتسحه وانتصر عليه، ظل يتأمل الغرفة بعيون خاويه ، لم يفكر فيما سيفعل، المكان مغلق ، وتقطعت به السُبل، الخيبة تقف كالوحش الكاسر في الزاوية تنتظر منه ان يستسلم لتنقض عليه ...

فتح عينيه رويدا رويدا ، نظر للسقف القديم، يبدوا انه قد نام وقتا لا يعلم كم يبلغ مقداره ، استدار ناحيه اليمين، نظر للجدار، رأى سلاسل واثار لقيود، يبدوا ان هذا المكان قد شهده الكثير من قبله ...

نعم لقد كان هذا المكان محكمه تضرب بأيدي من حديد، وتعذب من تريد.

تنفس بعمق، وقال يارب، لا يستطيع الدعاء من شده المه لا يستطيع التفتيش عن دعوه ليطرق باب السماء بها ، قال يارب، واعادها بصوت مرتفع قليلا، ثم بدا يكررها ويرفع صوته اكثر واكثر، حتى صار يصرخ بها ويبكي ... واذا ما شعرت ان الالم قد فتك بك، وتعدى حدود تحملك، فصرت تبكي وتسال الله الفرج وتدعوا بيقين لطالما خلت منه دعواتك، فثق ان الإجابة ستكون في طريقها اليك، وسترى الفرج يأتيك .

لقد غط في نوم عميق، ولازالت دموعه تنساب من عينيه ، ولازالت شفاه تنطق مابين لحظه واخرى يارب امر حمزه غريب، غريب حقا !

اليوم الاول، والثاني وهاهو اليوم الثالث ...

لم يطرق الباب احد، كما انه كان يحاول مرارا ان ينادي ولم يسمعه احد، جلس على الارض ،وعادت له ذكرياته الأخيرة، الامور الغريبة منذ بدايتها، فضوله، ابوه، كلمات ذاك الدكتور الجامعي، السعادة، المفتاح، ما مفتاحه؟ !

ايعقل انه سيموت ؟!

هل يرى سائر ذكرياته الان وكأنها تمضي امامه لهذا السبب ؟!

فجاءه وثب فرحًا، قد يكون هو، قد يكون مفتاح سعادته هو التسلح باليقين، الان وهو وحيد هنا كما كان يوسف في غيابت الجب، تحاصره الظلمة من كل موثق ...،ينادي ويطلب نداء البشر ،اكان حقا يرجوا من بشر ضِعاف ان ينقذوه مما هو فيه ؟

تذكر الدعاء الذي هوّن به يونس- عليه السلام- على نفسه وهو في بطن الحوت

[لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين]

فكشف الله سبحانه وتعالي عنه الهم ونجاه مما كان فيه...

ظل يرددها، وهو على امل ان يرى بصيص حريته قريب، لكنه حر، قد يتمتع سجين مثله بالحرية، فلا احد يستطيع ان يمنعك من التفكير فيما تريد، الحرية لا حدود لها، قد تحرم احد جوانبها لكنك لا تمنع منها كلها ..

حمزه ...

ساجد حلًا، سأنبش ذاكرتي عن امر ينسيني ما انا فيه، سأتخذ من نفسي صديقتي، وسأناقشها فيما يحدث لي حسنا لنبدأ ..سأحكي قصتي كشاب تعيس الحظ ... هناك صوت ما ،صوت خشخشه قادم من وراء الباب الحديدي، اقتربت لأسمع الصوت، لابد ان هناك شخص قادم، هناك شيء يتحرك، قلت في نفسي انها فرصتي سأنتهزها، اصبحت انادي واستغيث ان ساعدوني ارجوكم، انا هنا، وفجاءة سمعت صوت صافره ما ،ومع صوتها فُتِح بابي وباب اخر وابواب اخرى، لم تسعني الفرحة سارعت للخروج، لكن ما رايته لم يمكنني من الحراك خطوه

واحده، كان نمر ضخم ينهش جسد شخص ما، يبدوا ان هذه هي طريقتهم في التخلص من سجنائهم، يال قذارتهم... اين سأذهب الان؟

هذا النمر يبدوا انه لم يذق الطعام في حياته قط وجاء ليملا معدته بلحمي، ياللهول...

تلفت حولي وجدت الناس الذي يخرجون بفرحه كما خرجت ثم تتبدل وجوههم، يرون حتفهم امام ناظريهم، نظرت فوجدت الطريق طويل، اخذت اجر خطاي الثقيلة، حتى اتتني حراره النفس، لا رغبه لي بالموت الان، سأدافع عن نفسي، اصبحت اركض في الممر، ابتعد وانا اسمع اصوات صرخات متواليه، وكلما شعرت ان النمر قد انهى التهام احد وانتقل لأخر، زادت سرعتي ورغبتي بالفرار، النهاية طريق مسدوده، لا باب، لا مكان للهرب، وقفت استند على الجدار انظر للطريق وكأني انتظر ظهور النمر للانقضاض علي، هل من عصى هنا، لعلي استطيع ردعه بها، لا شيء حولي، جلست، اصبحت ثقيلا على نفسي، لم تعد لي رغبه في الحياه ،الموت يلتف حولي من كل مكان، حتى سمعت

خشخشه اخرى في الغرفة القريبة مني ، لم استطع النهوض ، صرت اجتر جسدي على الارض، حبوت حبوًا حتى رأيت الحجارة تزال من مكانها ،

رأيت طيف شخص يقف خلف الثقب الصغير الذي في الجدار، لم استطع التحدث ،قلت برجاء :ساعدني يارب .. ظهرت رحمه من خلف الثقب راته فتذكرت ملامحه ،حاولت ان تيقظه لكنه غارق في غيبوبته ،دفعته مره ومرتين وثلاثة ،لم يستجب ،حتى سمعت صوت النمر يقترب .. امسكت به من تحت ابطيه وسحبته لداخل الشق واعادت ترميمه كما كان لكي لا تترك اثرا ...

رحمة ....

اعتدت القدوم للاطمئنان على السجناء ،هذه الزنزانة كانت من قبل لأخي نبض رحمه الله ،ومع زياراتي المتكررة له كان يخبرني ان بابه لا يُفتح، ولكنه يسمع اصوات صافره ثم وحش كاسر ،ثم صرخات ،ويظل الصوت يرتفع ويعلوا ثم يختفي بعد ساعه او اثنتين ،وتنتشر رائحه الدم والجثث ، وبعد وفاه نبض اتي الى هنا ما بين فتره واخرى اساعد من

استطع من المساجين الابرياء الذين سجنوا ظلمًا وبهتانًا وزورًا ،وعندما اتيت اليوم صعقت بشاب يحبوا نحوي ،ومن ثم سمعت صوت النمر ، فاقتربت منه كان مغشي عليه ،انه ذاك الشاب الذي لحق بي ، امن الممكن اني من تسببت بقدومه الى هنا ؟

ادخلته معي من الثقب واغلقت الشق واخذته عبر ممر ضيق الى كهف صغير اعيش فيه ،انه منزلي ،اوصاني اخي قبل وفاته في احدى زياراتي السرية له ان انتبه لنفسي واغادر المنزل خلسه ،فهناك من يتربص بي ،ونفذت امره ،وانتقلت لكهف صغير في اطراف المدينة اخبرني نبض انه كان يضع كتبه العلمية هناك وكان يتخذ ذاك المكان لراحته واسترخائه ،وبالفعل رأيت المنزل في اليوم الثاني محروقًا كان كومه من الرماد فحسب ، ،نقلت الشاب معي الى الكهف، كان يبدوا عليه السقم ،وحرارته مرتفعة ،احضرت ماءًا بارد من ينبوع قريب ،واخذت اعتني به ،لقد احزنني حاله، ولمت نفسي لإحضاره الى هناك ،لكني لم ارد به سوء ، لقد مر عليه وقت طويل وهو نائم ، وانا لم اعتد النوم وفي بيتي غريب

،كنت متيقظة انتظر منه اي يصحوا ،حتى فتح عينيه شيئا فشيئا ،رايته ينهض ويضع يده على راسه ،يبدوا انه يؤلمه بالفعل ، نظر الي ،يبدوا انه يحاول ان يتذكر من انا ، وبالفعل قال:

هذا انتِ ؟

قلت:

انا اعتذر لإحضارك له، لم اعتقد انك ملاحق ،ظننتك شخص سيئ!

حمزه ...

كان الحزن يحتل وجه الفتاه ويصب نفسه في كل دفه من اركانه، رايتها تراقبني وكأنها تنتظر مني ان اصحوا، وضعت يدي على راسي انه يؤلم جدا، انها الفتاه نفسها التي كانت تبكي على ذاك القتيل، الفتاه التي اقتادتني لذاك المكان، كنت غاضبا عليها، لكن مع اعتذارها الشديد وملامحها المتعبة، هدئت من روعي، وقلت لها:

لا عليك...من انتِ؟

ردت:

انا رحمه

قلت بتلقائيه:

رحمه!

قالت:

نعم ..ماذا كنت تريد مني عندما كنت تراقبني؟

قلت:

لم اكن اراقبك، ولم انوي ايذائك انا شخص هائم هنا ابحث عن الاشيء، عندما رايتك ، كنت اسبح مع الجموع فسمعتهم يشتمون صاحب الجسد بأقبح الالفاظ واغلظها، ظننته سيء، حتى رايتك تبكين عليه ...كنت اود سؤالك فقط من يكون؟ ولماذا اعدم؟

رحمه -تنهدت -:

انه اخي ..اسمه نبض، كان شخصًا طيبًا، لكن هذا العالم لا يرى مكانًا للطيبين، كان خُلقا فاضلًا، ولم يكن يصرح له بمساعده الاخرين، في قريتنا ،ليس على احد ان يساعد

احد ، من يحتاج لمساعده عليه ان يذهب لزعيم القرية الذي كنت عنده قبل قليل ..

قلت:

اوا ذاك يكون زعيم قريتكم؟

هل اصبح المتغطرسون والجاهلون والمفسدون، يحتلون مناصب الحكم والقيادة؟

قالت بابتسامه :

في نظره انه يحافظ على دستور القرية، ويحمي قوانينها ..

حمزة:

ولم قُتل اخاك لم تجيبيني ؟

رحمه:

لقد اعتدت انا واخي مساعده الشباب الذي يغرقون في ذواتهم فلا يستطيعون مغادرتها ، فيعيشون في عالم سلبي مخيف، عندما تندمج عقولهم مع قبح العالم، وعندما فعل اخي ذلك وساعد شخص ما قبض عليه بتهمه مخالفه القانون، وان

الجميع من الزائرين والمقيمين من يدخلون قريتنا تنطبق عليهم تعاليمها وقوانينها الظالمة ...

حمزة:

ولم لا تغادرون؟ مادامت هذه قريه ظالمه،

-قلت بسخريه –

واتركوا له الدواب ليكون حاكمًا عليها؟ فاي من البشر من لديه انسانيه يقبل بهذا الذل والهوان !

رحمه:

الامر ليس كما تعتقد، القرية محاطه بأسوار منيعة، وليس لها الا بوابه واحده للدخول والخروج، يسمح للجميع بدخولها، لكن لا يسمح لاحد بالخروج منها، غريب! هل دخلت الى هنا دون ان تمر من تلك البوابة؟ !

قلت:

لا لم امر بالبوابة التي تتحدثين عنها. انا لست غريبا فقط بل قصتي غريبه كذلك ...

اخبرتها بكل ما حدث لي، كنت بحاجه لتحدث لاحد ، لشخص اشاطره افكاري الهائجة...

رحمه :

يبدوا ان قصتك خياليه حقاً؟

حمزة:

انتِ لا تصدقين؟ !

رحمه:

بل اصدق ...لقد رأيت في رفقتي لأخي شباب مثلك، وعلى اختلاف القصص التي دفعتهم للوصول الى هنا كانت ظروفكم متشابهة قليلا ..

حمزة:

هل لك ان تخبريني هل نجوا؟ هل استطاعوا العودة لديارهم؟

رحمة:

البعض منهم فقط لم يستطع ان يعود، من فقد شجاعته وقدرته على المواصلة ، وفضل الاستسلام، والرضوخ للموت .

حمزة:

وماكان مصير المستسلمين؟

رحمه:

الموت بطريقه ما ...هنا في القرية يوجد ثلاثة سجون تختلف في طرق تعذيبها

سجن الجبابرة الشمالي وسجن المخلب الجنوبي وسجن الصخرة الذي يقع في الطرف الاوسط من القرية ، كل سجن منهم له طريقه اعدام محدده؟

قلت: وكيف ذلك؟

رحمه:

تختلف طرق الموت لكنها تؤدي اليه اخيرا، سجن الجبابرة يعدمون ضحاياهم بجعل اقرب الناس اليهم يحملون السكاكين وينهالون عليهم بالطعنات حتى يفقد قدرته على المقاومة ويلفظ انفاسه . وان رفضوا ، فقد كَتبوا على نفسهم الموت..

حمزة:

وكيف يقتل المُحب حبيبه؟

رحمة:

ان لم يفعل سيموت، وان فعل فقد انتهت مهمته وحصل على وسام شرف من زعيم القرية...

حمزة:

الا يستطيع احد ايقافهم؟

رحمه:

بالطبع لا ! عندما ترى الوحشية تستقر في عيون حرس السجون وتنظر لرغبه الناس الجامحة في الحياه، تدرك انه لن يستطيع احد ايقافهم...

حمزة:

يا الاهي ..تابعي !

رحمة:

سجن المخلب الجنوبي، طريقته وحشيه كذلك، فهم يطلقون الحيوانات المفترسة الجائعة، ذوات المخالب ويفتحون ابواب السجناء ،ويتركونهم كوجبه شهيه لهم.

حمزة:

كما كاد ان يحدث لي ... كنت سأكون وجبه لذاك النمر لو لم تبعديني عن المكان ..اشكرك.

رحمة :

لا تشكرني فانا من اوقعتك في المأزق الذي كنت فيه..

حمزة:

وسجن الصخرة، ايعذبون بالصخور؟ !

رحمة:

لا لكنه محاط بصخور كبيره لذلك يسمى بالصخرة، يصعب اقتحامه ، لا احد يعلم كيف يُقتل الابرياء هناك، لكن من دخله فمن المستحيل ان يخرج حيًا، ولا تخرج عظامه حتى ..!

حمزة :يال الوحشية !

لاحظت رحمه ان حمزه يمسك بمعدته ،فقالت له : اعتذر لقد نسيت انك كنت في السجن لابد وانك لم تأكل شيئًا منذ ايام ،سأحضر لك الطعام في الحال..

لم تمنح حمزة فرصه في الكلام ، خرجت مسرعة، مما اضحكته من تصرفها المتهور هذا ،يبدوا انها ستساعده ليعود، لديها الكثير من المعلومات التي ستفيده ، انطلق صوت معدته الجائعة ،فضحك بصوت مرتفع هذه المرة ،لقد افتقد ضحكته تلك المدة ،لكنها عادت والحمد لله ،ولاح الامل يحلق في السماء من جديد ...

لم يمضي على غياب رحمه الكثير من الوقت ،حتى عادت تحمل سله مملؤة بالطعام ..

قلت :

لم تسكنين هنا ؟

فأخبرته بقصه هذا الكهف وهي تقوم بإشعال النار في الموقد...

حمزة :

امرك غريب ! لماذا لم تخلصي نبض من اسرهم ما دمت تستطيعين الدخول ؟

رحمه :

كنت اتمني ذلك ! لكن نبض كان مقيدًا ، جربت ايضًا ان احطم القيود ، لكن عبث ، كانت صُلبه ،اصلب من الفُلاذ ..

ندم على سؤالها ، لقد تحطمت نفسيتها وبدى الكسر يلمع في عينيها فكتظتا بالدموع ، فقال مواسيًا : هكذا كُتب له ان يرتاح من عناء الحياه ، ثم ان الجميع يقف مكتوف الايدي امام مشيئة اللّٰه ، اذا اراد امرا فإنما يقول له كن فيكون، الحزن لا يفي بالغرض ازاء الامور الصعبة التي يبدوا انه لا مفر منها ، قد نفقد احبابًا ، او اي شيء اخر، لكنه الخير بلا شك، اتعلمين !

رفعت عينيها من على النار المتوقدة التي تشعر وكأنما تحرقها هي ، ونظرت اليه ،ليقول :

الانسان بطبعه مأساوي لأبعد حد ، ما ان يُغلَق باب في وجهه حتى يصبح جحودا ،لان نظره يظل مصوبًا لذاك الباب المغلق ،ولكنه ما ان يلتفت حوله حتى يرى ان اللّٰه قد فتح له ابواب كثيره خير من ذاك الذي اغلق ..فلا داعي للحزن ...

وقال ممازحا :

لو كنت استطعتِ ان تجعلي نبض يهرب ، لكنتِ اغلقتِ ذاك الشق ،وكنت الان في بطن النمر اليس كذلك ؟

ابتسمت ومسحت الدموع من عينيها وقالت :

صحيح ...اشكرك انا بخيرًا الان .

ابتسم حمزه ،والقى بنفسه على الفراش الذي كان نائما عليه ، يبتسم فقط ،هدات زوابع فكره الصاخبة .تذكر ان فاقد الشيء يعطيه .كان بالفعل يفتقد كل حرف قاله لرحمه ، لم يكن يواسيها فقط ، بل كانت المواساة له هو ، كان يرمم ذاته بما يقوله لها ، لقد تعاهد مع نفسه انه لن يكون يؤسًا ، وانه سيظل ذاك الرجل الذي يقف امام الصعوبات حاملًا سيفه بكل قوه مستعدا لردع كل هجوم ..ابتسم لقد قال عن نفسه لنفسه انه رجل ...الكلمة التي كان يكره ان يناديه اباه بها كان يفر منها اينما وُجِدتْ ،المحن تصنع الرجال ،وما هو فيه قد ولّدّ في ذاته شجاعة الابطال ،ليخوض المزيد من المعارك، وحكمة العلماء ،لان خطواته قد توقعه في مشكله اذا ما توخى الحذر ..قد غيرت فيه هذه الرحلة الكثير ...

(٥)

تريث قبل ان تتجهم فقد يكون هناك شخص يستند على ابتسامتك ، شخص يُصبِّر نفسه بها...

اعدت رحمه الطعام وما ادهشها في نفسها انها وضعت الطعام على تلك المنضدة التي كان يأكل عليها اخوها نبض، المنضدة التي هجرتها ولم تستطع ان تأكل عليها وحيده، الان ستأكل مع حمزه عليها، ستكمل مسيرة نبض في مساعده الاخرين، عزمت على ذلك ، ومع اخر صحن تضعه نادت:

حمزه؟!

فتح حمزه عينيه على صوتها وقال

نعم ...

نهض وهو لايصدق لم تختفي رحمه كمالاخرين،الذين كلما اغمض عينيه تبخروا ،ابتسم لرؤيتها ، اخيرًا رأى شيء ثابت لا يتلاشى حالما يراه ..

نظرت له رحمه وقالت:

الست جائعا؟!

قال وهو يلقي بالفراش وينهض:

بلى انا كذلك ،هاانا ...

جلس امام الطعام وشكر الله على هذه النعمه التي قد فقدها لثلاثه ايام، كان يستمتع بطعمه كلما بلل ماءه حلقه المتحجر، اعاد فيه الحياه من جديد، ورسم شعورا عذبا في داخله، بعد ان انتهى ..

حمزه:

شكرا يا رحمه ...

رحمه:

لا شكر على واجب عده تكفيرًا عما بدر مني ...

ابتسم وقال:

اتعلمين الى اين ساذهب؟

رحمه:

لا ادري؟ !اخبرتك ان القصص متشابهة في عمومها لكنها تختلف ايضا !

حمزه:

حسنا ! بخبرتك و رحلاتك مع اخيك هل لك ان تخمني ما علي فعله؟ !

رحمه:

صدقًا لا اعلم ،لكن عليك ان تبحث عما ينقصك، عن الطريقه التي ستخلصك من هذا ، ولابد انك مررت بها ، اذا ما ساعدت شخصا هنا ، حاله قريبه من حالك في عالمك، قد تعود الى هناك ...

حمزه:

حاله كحالي؟

رحمه :

نعم، كل الذين ساعدهم اخي قالوا هذا قبل عودتهم قالوا اننا سنعود لتصحيح حالتنا في موطننا ..

حمزه:

كيف عادوا؟

رحمه:

لا اعلم يختفون فجاءه!

لاحظت هدوء حمزه لتقول:

انت لا تصدق؟ !

حمزه:

اصدقك بالطبع فكل ما حولي يتلاشى، كنت افكر فقط في كيف سيكون شعوري اذا ما تلاشيت....

رحمه:

ماذا ستفعل الان؟

حمزه:

الم تتحدثي عن قصه شخص يشبهني ؟

رحمه: نعم !

حمزه: سأبحث عنه بالتأكيد ...اترافقينني؟

رحمه: اذا احتجت للمساعدة بالتاكيد، سأكمل مسيرة نبض ...

حمزه: اذا لنذهب ...

ارشدته رحمه في الذهاب الى السوق حيث قرر ان يبحث عن شخص ما يشبهه، فكانت تعلم ازقة الطرق، كانت تسلكها للابتعاد عن الانظار، فهي ايضا ملاحقه، وحمزه معها الان، الاثنان في خطر اذا ما التقيا باحد من اعوان ذاك الشرير...

ومن طريق فرعي لاخر، وصلا للسوق اخيرا ... وعلت الاصوات، وسمع اصوات البائعين تتعالى ، مضى حمزه يرقب كل مار في الطريق وكل بائع، لعله يهتدي الى من يحتاجه ليساعده ويعود لعالمه ، ظل يبحث لساعات طوال، حتى جنى الليل وادلى ستائره ...

رحمه: تاخر الوقت

حمزه:

عودي للكهف الان!

رحمه : وانت؟!

حمزه: ساستمر في البحث لعلي اعثر على امر ما.

رحمه: لابأس الحق بي حالما تنتهي، سأذهب الان لزياره صديقه لي قُبيل العودة ساسالها اذا ما كانت قد رات شخصا بحاجه للمساعدة ..وداعا!

حمزه: رحمه ...شكرا لك.

ابتسمت واستدارت ذاهبه وغادرت من طريق فرعي لتصل الى منزل صديقتها ...

رحمه ...

اعتدت ان ارى صديقتي امانه كل ليله تقريبًا، في مكان بقرب منزلها، وعلى غير العاده لم تكن هناك اليوم، جلستُ تحت الشجرة لانتظرها، منزلها منير على غير العاده،وما هي الا ثوان، حتى رأيت رجال اشداء، يرتدون خوذات القتال، ويحملون سيوفا، يخرجون من البيت ،ويتركون الباب خلفهم مفتوحا، ويمسكون بشاب وفتاه عرفتهم جيدا انهما حبيبه وصادق عندها توقف قلبي، وقطعت انفاسي، اين امانه ماذا حدث لها؟

انتظرت ابتعادهم ، وتسللت خلسه تاكدت ان لا احد ينظر الي، ودخلت، كانت بركه دم حمراء وخيط دم يمتد الى

الغرفه المجاورة، تبعته وانا خائفه مما سأرى، نظرت ورايت شُجاع والد امانه مرمي على الارض وبركه كبيره من الدم حوله، اقتربت منه، وقلت بصوت متقطع:

عمي شجـ شجـ شجا ع

نظر الي بنظره متعبه وقال:

رحمه ، ابحثي عن امانه ارجوكِ

قلت: سأستدعي الطبيب انتظر

شجاع: توقفي، انهم يحاصرون الطريق المؤديه الى هنا، ارجوكِ ابحثي عن امانة ...

قلت:سافعل ..لكن ماذا حدث؟

قال:

يقاتلون الاخلاق، انهم يتبعوننا، هذه القوانين لابد ان تموت، لابد ان ينتهي هذا الظلم، ارجوكِ ...اعتني بامانة يا رحمه لقد اخذوا حبيبه و صادق معهم ولفظ اخر ما لديه من نفس ...

صعدت رحمه الدرج الذي يقود للطابق العلوي ،ويدها على قلبها ،وصلت الغرفه فوجدتها في فوضى عارمه، وبصوت خافت:

امانة ...اين انتِ؟

استجمعت طاقتي وقلت بصوت مرتفع قليلا:

امانة، انا رحمه، اين انتي؟

رايت شيئا يتحرك من خلف الخزانه، اقتربت فوجدتها هي تجلس متكوره تضع يديها على اذنيها وتبكي، اقتربت منها وحضنتها بقوه، اخذت ابكي معهم، قالت:

ابي اين ابي ؟

حركت راسي نافيه والدموع تتساقط من عيني، لم استطع البوح بكلمه، وكانها فهمت ما قلت، فاخذت تبكي بقوه، استجمعت القليل من طاقتي، وقلت: علينا الذهاب من هنا المكان خطير ..

قالت: اين صادق وو حبيبه ...؟

قلت لادفع فيها القوه:

سنحررهم لا تخافي ، تعالي الان لنذهب ..

رفضت،

رحمه:

ليس هذا وقت عنادك يا امانة، تعالي لنبتعد من هنا .. رفضت جلست بجوارها ولم ادري ما الحل الان، سمعت صوت عربه تقف امام المنزل، اقتربت من النافذه اختلس النظر، رايت رجال يدخلون المنزل ، يحملون جثه عمي شجاع ويلقونها في العربه، اخذت امانة من يدها وصعدت فيها الدرج لنصل الى سطح المنزل، اغلقت الباب وتاكدت من احكامه، ثم امسكت بها وتوقفت اين سنذهب؟

اخذت انظر حولي، بضياع يبدوا اننا سنموت معًا ...

حمزة ..

ذهبت رحمه وصرت امضي وحيدا، لم اعثر على شيء يذكر، قررت العودة للكهف ،واخذت الطرق الفرعية، لكن اضعت الطريق، لا امل مني، كيف سأعود الان اخذت احاول الاستدلال للطريق وحاولت جاهدا ان استذكر ملامح الطريق الذي جئت منه،حتى رايت رحمه تدخل منزل

ما ، لمحتها من بعيد ، عرفتها من حركتها الخفيفه ،قلت قد انقذني اللّٰه مجددا ، لم أشأ ازعاجها ، فجلست اراقب من بعيد انتظر خروجها ، رايت الحرس يدخلون المنزل والجثه التي خرجوا يحملونها ، لقد اصابني القلق، ايخططون الان لقتل رحمه !اقتربت من البيت اكثر ، وانا اخشى ان يقتلوها ، نظرت للسماء وقلت:

يارب ...احمها يا اللّٰه

حتى رايتها تقف على السطح اشرت لها بيدي ، فرايتها خائفة، كنت ساتحدث لولا انها اشارت لي بان التزم الصمت، ففعلت ...وادركت حجم الخطر الذي نحن فيه ..

رحمه ...

رايت حمزه يقف في الاسفل ، كنت خائفه خاصه اني اسمع اصواتهم يقتربون، قلت له بهمس :

اتستطيع ان تمسكها ؟

لكنه لم يسمعني ، حاولت ان ارفع صوتي قليلا ، لكنه لم يسمع ، تلفت حولي ،رايت حبال نشر الغسيل وقطعت زجاج

مكسوره عثرت عليها ، سالت اللّه القوه وقطعت الحبل ، احضرته وربطته حول خاصرتها بقوه ومررت من خلف انبوب مياه قلت لامانه :

انزلي هيا

بدا الجنود بطرق الباب وبصفعه بقوه محاولين كسره .. امانه :

اذهبي انت

رحمه :

ليس هذا وقت حديث سالحق بك .. هيا

تشجعت قليلا ونزلت ، وبدات اترك الحبل رويدا رويدا ...حتى وصلت للاسفل ، ساعدها حمزه في فك الحبل ،نظرت بابتسامه هاقد نجت واذ بالباب يكسر ويدخل الجنود

حمزة ..

اخذت امانه وساعدتها على النزول وقلت لها :

اتعلمين الطريق لكهف رحمه ؟

حركت راسها اي نعم فقلت : اذهبي اليه الان وبسرعه نظرتُ لرحمه في الاعلى فلاحظت التفاتها لامر خطير ، فقلت:اذهبي

فلم تعترض وذهبت

صرخت الان :

رحمه اقفزي

رايت نظراتها الخائفه ووعيد الرجال لها ،وقلت بصراخ :

اقفزي

دهشت من استجابتها السريعه وقفزت بالفعل قبل ان يمسكوها ،امسكت بها ،شعرت باني اذيت ساقي،فسقوطها علي ،آلمني ، لكني تماسكت فلست انا من اضعف، قلت :

لتهرب هيا

واخذتها من طريق فرعي اخر غير ذاك الذي ذهبت منه امانة ، لاحرص على ان تكون بخير ، كنت اركض و لا ادري لاين حتى نطقت رحمه :

من هنا يا حمزه

تبعتها ،حتى اصبحنا نمضي بين الصخور ،رايت بئر ،يبدوا مهجورا ، رفعت غطائه وقالت :

اقفز

قلت :اجننتِ ؟

رحمه : هيا يا حمزه ثق بي

قلت لها :اقفزي انتِ اولا

قالت:

سأقفز بعد اغلاق البئر، رايتها تلف عقده خفيفة حول الغطاء علمت انها ستقفز وهي تمسكه فيرتفع الغطاء مكانه ومن ثم تسقط هي والحبل ،

قفزت، كان بئرا عميقا ،هبطت اخيرا على عدد من الأغطية التي خففت حده سقوطي فلم اصب باذى ،وابتعدت فاذا بها تسقط خلفي، اغمضت عينيها ثم فتحتهم وابتسمت، وقالت:

نجونا

قلت: بفضل الله ...ماهذا المكان؟

رحمه: اخبرني نبض عنه من قبل ولكني لم اتي هنا قط ولم اعتقد اني ساتي هنا بالفعل قال لي انه اذا حوصرتي يا اختي اقفزي في البئر ،وعلمني العقده التي لففتها حول الغطاء ...

حمزه بابتسامه:

يبدوا انه حماكِ وهو ميت!

ابتسمت وقالت:

نعم، كان يخشى دوما علي من هذا ، لذا حفر الكثير من الطرق الفرعيه ثم قالت: لنذهب الان تبعتها....

حمزه: هل سنصل للكهف؟

رحمه:

نعم...اتسال هل امانه بخير؟

حمزه: اخبرتها ان تنتظرك في الكهف لابد انها وصلت

رحمه: صحيح كيف وصلت الينا؟

حمزه: اضعت الطريق

ردت ضاحكه :من حسن حظي ..

وصلا للكهف وبالفعل وجدا امانة تقف على بابه وتنظر للطريق بقلق، تحركت رحمه بهدوء حتى اقتربت منها وقالت: امسكت بك وضحكت

على عكس امانه التي ابتسمت ثم اخذت تبكي تركت الصديقين معا وذهب لاستريح قليلا، تمددت نظرت للجدار بعيون خاويه ،الخطر قد اشتد، وماذا ستكون الخطوه الثانيه، قلت في نفسي لن افكر في الثانيه حتى اتمّ الاولى، وغفوت ...

في الصباح كانت امانه تصرخ، نهضت فزعا، توجهت نحوهما، فوجدت رحمه ملقاه على الارض، توجهت نحوها وقلت لامانه:

ماذا حدث لها؟

امانه: لاادري صحوت فوجدتها هكذا!

اخذ حمزه يتحسس جبينها ،حرارتها مرتفعه حملها وقال:

ابقي هنا ساخذها لطبيب

امانه:

توقف المكان خطير الجنود يحاصرون المكان واذا ما عثروا عليكما سيقتلوكما

حمزه بغضب: اتركها هكذا؟

امانه بحزن:

ما باليد حيله، لي صديقه تعمل في صرف الاعشاب الطبيه ساخبرها ان تصرف لي دواء يخفض الحراره

حمزه بغضب:

هل تركها بهذه الحاله هو الحل الامثل؟ امانه استمعي الي ساذهب للبحث عن طبيب يساعدنا ،ساسعى جاهدا لاحضار الدواء لها، ارجوكِ اعتني بها لحين عودتي !

ردت امانه:

المكان خطير عليك، ستقتل!

قلت باسما:

لعلي احظى بميتت رجل شجاع، ان حدث ذلك فقولي لها شكرا على كل شيء، واذا استطاعت ان تصل لابي فلتقل

له اني اسف على كل ما بدر مني و اني احبه واستدار وغادر المكان ...

مضى حمزه في الطرق الفرعيه ،لايعلم وجهة محدده ليذهب اليها ، فضل ان يقتصر سيره على حدود القريه فلا يدخل في جوفها ، في النهايه هو لايريد ان يراه احد ،ظل يبحث في المجموعات السكنيه البسيطه ، يسال هذا وذاك عن طبيب هنا يصرف الدواء ، بحث بشكل متواصل يوم وليله ، وعندما شعر بانه ابتعد ، فكر في العوده لكنه لن يعود خائبا ، كلما اراد ان يرتاح تذكر ان رحمه ستصارع المرض لوقت اطول بسببه ، فمضى، بدا يتحرك بين الصخور حتى راى شابا يدخل لكهف صغير اشبه بالذي تعيش فيه رحمه ، عبث به الفضول فلحق به ،عندما راى مجموعه من الشباب،عضلاتهم مفتوله ، نظراتهم مخيفه ، اختبأ بين الصخور، فسمع احداهم يقول لشاب الذي دخل توًا: ماذا رايت يا مؤمن؟

مؤمن :انهم يستعدون ليوم اعدام جديد يكون على حملتان احداهما في سجن الجبابره والاخرى في سجن الصخره قال احدهم: كيف سننفذ الامر ..؟!

رد الاخر:

سندمر السجون، ان فعلنا ستهدم نصف القوانين وسيختفي الخوف من الدستور، وسيعود الخير من جديد ...

مؤمن:

لما لاندمر الحدود ..لحظه اتسمعون شيئا غريبا؟ اشار له احدهم ان اصمت، رفع سيفه وتقدم نحو الصخره التي يختبأ حمزه خلفها واشهر سيفه في وجهه.. قال: من انت؟

حمزه:اسمي حمزه وانا غريب عن هذه الديار

رد عليه: وماذا تفعل هنا يا حمزه؟

حمزه:لا اعلم يبدوا انه علي ايجاد شخص شبيه بي لاساعده ومن ثم اعود لعالمي

قال احدهم:

حمزه اانت الملاحق من قبل زعيم القريه؟

رد حمزه: ملاحق! اصبحت مشهورا ...

اعاد سيفه الى غمده وقال:

ماذا تريد منا ياحمزه؟

حمزه: ساساعدكم

مؤمن: اوا تستطيع؟

حمزه: سافعل ما استطيعه

مؤمن: ومهمتك؟

حمزه:

لا اريد ان ادخل هذا المكان واخرج منه دون ان اترك اثرا ، لابد وان اساعدكم ، ليس من عادتي السكوت على الباطل-تذكر امانه ورحمه وتلك العجوز والعم الكبير - كما ان الظلم هنا لم يعد يحتمل ..هناك الكثير ممن يعانون بصمت، افئدتهم تعتصر الماً .وهذا لا ارضاه لي فكيف ارضاه لهم

قال الاخر : لا باس انا اسلام وهذا مؤمن وهذا امهرنا في استخدام السيف مهند نحن هنا لـ....

قاطعه مهند قائلا:هناك حملتان ستقومان باعدام عدد من الاخلاق نخطط لتحرير المساجين وتدمير السجن ان استطعنا ومن ثم هدم السور او فتح بوابات اخرى...

قال حمزه: اي سجن تريد ان تدمر؟

مهند :

السجن الشمالي اولا ...

حمزه:

لدي رجاء، ان هناك فتاه متعبه تحتاج لدواء وهي ملاحقه اي لانستطيع اخذها لطبيب ، فاين ساجد دواء الحمى؟

اسلام

: اين تسكن الفتاه؟

حمزه بنظره شك: وماذا تريد منها؟

اسلام:اهي من سكان الكهوف؟

حمزة:الجنوبي منها ..

مؤمن: اتتحدث عن رحمه ؟

حمزه: اتعرف رحمه؟

اسلام:

مهند سأتولى مهمه ايصال الدواء لرحمه، فانا مغادر وفق الخطة لحدود الباحة الجنوبيه لاحصي كم حارس يقف امام البوابة ومعلومات اخرى

مهند: اذا ستوكل اليك مهمه ايصال الدواء لرحمه، تحرك حالا...

اسلام: حسنا السلام عليكم ...

وعليكم السلام -رد الجميع بها –

مهند: لاعليك ستكون بخير ...

حمزه ابتسم وقال: من اين تعرفونها؟

مهند:

انها فتاه صالحه، تتجسد في المخلوقات لتبعث الطمانينه اينما حلت، انها الرحمه التي يسعون لقتلها في نفوسنا..انها تساعد الكثيرين..

تذكر حمزه انه لم يسال عن امانه فقال:

اعرفت فتاه تدعى امانه؟

رد مؤمن: نعم انها الخلق الفاضل الذي تحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتاه محبه للخير، اضاعها الجميع في كل نواحي حياتهم ،ومع الاسف ..ابوها شجاع واخوها صادق ولها اخت تدعى حبيبه ، وامهم طيبه قد اعدمت في سجن المخلب ، انهم عائله طيبه تجمع الحب والصدق والشجاعة والأمانة والطيبة...

حمزه: لقد علمت ان والدها قُتل ،وقد أُسروا الباقي ولم يبقى منهم سوى امانه...

مهند : اقتل العم شجاع؟

مؤمن : يالها من فاجعه!

مهند والدمع في عينيه:

رحمه الله

حمزه:

هل لي ان اعلم كيف تعرفه؟

مهند:

انا المهند السيف الذي يضرب ببساله، ، كنت صغيرا عندما فقدت والداي، فاخذني العم شجاع عنده، واحتواني في بيته، وعلمني الشجاعه واستعمال السيف ..

حمزه:

هل جميع الاخلاق هنا تعرف بعضها؟

مهند:

هي لم تفترق ابدا ولن تفترق ما وجدت، انه ترابط الاخلاق الذي يكون بناءا صلبا يستطيع الصمود ..

حمزه:

فهمت

مؤمن:

ما الخطوة القادمة يا مهند؟

مهند: اسمعني يا مؤمن ،علينا انقاذ صادق وحبيبه، فالصدق من شيم المؤمنين، والحب ركن يبنى عليه الوجود، لن اتوانى عن فعل ذلك، سنبذل جهدنا ...

حمزه: الا يوجد طريق فرعيه تدخلك الى السجن؟

مؤمن:

يوجد في سجن الجبابرة طريق اعرفه، قد استطيع الذهاب الى هناك لاصل لصادق وحبيبه!

حمزه:

لكنك لا تعلم في اي السجني هما، ذهابك مخاطرة فان امسكوا بك ستكون النهايه ماساويه ...

مؤمن:

لاعليك، سابحث، وساحاول جاهدًا ايجادهما ..

حمزه: ستقتل انت ايضا اذا امسكوك!

مؤمن:

اتعلم! هذا لا يهمني ...المؤمنون لا ينظرون للدنيا بلهفه الاخرين، انهم يعاملونها بلطف حتى ينتهوا منها فيذهبوا الى ربهم ،وهناك يلقون حياتهم التي يحبون، والتي كانوا لها يعملون ..،الموت ليس النهايه يا عزيزي، انه بدايه حياه جديده، وعالم اخر ...

حمزه: لكن انت ايها الايمان ان فقدت فمن ذا الذي سيحل محلك؟

مؤمن: المؤمنون موجودون في كل مكان ،ماان اموت حتى ياتي شخص لاحيائي من جديد بامر الله، فالاخلاق لاتموت،وانما تُجرَحُ، وتُفقَدُ ،وتكسر، وما ان يحدث ذلك حتى تراها ترمم ذاتها ،وتجمع شظايا نفسها ..

مهند: والان يا مؤمن وحمزه علينا بدأ العمل .. حمزه ومؤمن: حسنا!

مهند:

مؤمن ستذهب الى السجن الشمالي، عليك ان تسعى جاهدًا للعوده بسلام ..وعند وصولك للسجن لا تقدم على اي خطوه، فكل الخطوات ستكون خطيره، مهمتك الوحيده هي استقصاء خبر وجود صادق وحبيبه ...

مؤمن: لكن ان كان المكان امن؟ !

مهند: لن يكون، هم يحكمون المراقبه ، ينظرون الى عيون مساجينهم باستمرار، ليراقبوا املهم في النجاه، فان راوه كبيرا، حرصوا على ابادته، ومن المحتمل ان تكون المراقبه

للسجناء لاعينهم وملامحهم، فما ان يراك صادق و تتفرج اسارير وجهه ،ويمسك بك ...

مؤمن :فهمت، ساكتفي بالاستطلاع، متى ساذهب ؟

مهند :

سيتحرك كل منكما الى مهمته مع غروب شمس الغد عندما يعود اسلام باخباره ..

حمزه :وما هي مهمتي؟

مهند: في سوق التجار الكبير لابد وانك سمعت عنه !؟

حمزه: سوق؟ ! صحيح تذكرته، ذاك الطريق الضخم الذي فرشت ارضه بالبضائع؟ !

مهند: انه هو، ولو كان في هذه القريه غير هذا السوق لاخبرتك ...

حمزه: اذا هو السوق الوحيد هنا..

مهند: نعم، ستكون قريبا من مخالطه العامه، وبذا قد تتمكن من العثور على شخص بحاجتك، وانت تقوم بالمهمه..

حمزه:عصفوران في حجر واحد!

مهند بابتسامه:

شيء من هذا القبيل، اسمعني الان، لي صديق يعمل هناك، يجلب لنا الاخبار الخارجيه، برحلاته مع القوافل ، صديقي هذا يسمى العم فاضل، عليك مقابلته، سيعطيك بعض الاسلحه والنصائح، لكن توخى الحذر.

حمزه: سأفعل!

مهند: عليك تغير ملابسك اولا ، فلابد انهم قد ابغلوا عنك؟

حمزه: ايبلغون عني ام عن ملابسي؟

مؤمن : قريتنا محدوده الموارد ، لايوجد طريقه سوى هذه ،ان يبلغوا عن ثيابك والوانها وشكلها ، فانت تعلم ان ملابسك غريبه عن منطقتنا ، ويسهل التميز انك غريب؟ !

حمزه: وكيف يمسكون بالمطلوبين من غير امثالي؟

مؤمن: انهم يسعون لامثالك فقط، لان الاخلاق باتت تسكن حدود القريه ،فلم يعد لها اثر كبير، ومن يدخل القريه منا ، يمسك به..

حمزه: وكيف يستطيعون تميزكم؟

مهند: الملامح تتكلم يا صديقي، النور يظهر في عيون الصادقين ...كُفى عن الحديث الان، عليكما اخذ قسط من الراحه لتكونا في اوج نشاطكما غدا.

مؤمن: تعال معي ياحمزه ساعطيك ملابس وغطاء..

حمزه: هيا اذا

مهند ...

ما اخشاه هو ان يحدث امر غير متوقع، لطالما برع زعيم القريه بنصب المكائد لنا، لكنه لم يبدي اي خطوه الى الان، رغم ان حمزه خطير عليه ، لا يُخشى الا من البحر الهادئ ،وهذا ما اخافه ..

مؤمن: بماذا تفكر ؟

مهند بتنهد: اخشى من الغد ...

مؤمن: سيكون الله معنا وسيؤيدنا بنصر من عنده، فكما تعلم مهما طال عمر الظلم فلابد ان ينتهي ..

مهند: اين ذهب حمزه ؟

مؤمن: للنوم!

مهند: جيد ..علينا الحفاظ على حياته، انت تعلم ان هناك اسطور لهذه القريه تقول ان هناك زائر سياتي للقريه سيترك مهمته ويساعد الاخلاق هنا ..

مؤمن: اعلم ..-وبدهشه -هل تعتقد ان حمزه ...

مهند: الفرسان الذين ساعدناهم من قبل، كانوا كحمزه،لكن ما ان يعلمون ببطش السجون هنا ،حتى يسارعوا في البحث عن مهمتهم، ليعودوا لحياتهم، وينتهي هذا الكابوس بالنسبه لهم ، لم يفكر شخص فينا من قبل، ولم يعرض شخص علينا المساعده كذلك ،اليس الامر محيرا؟ !

مؤمن: نهايه الاسطوره كانت ،بزوال الظلم صحيح؟

مهند :نعم ،لكن الاسطوره تقول ان لديه الكثير من المعارف من العامه الذين سيساعدونه في الاقتحام، وحمزه لايعرف احدا سوى رحمه وامانه ..

مؤمن :لاتستبق الاحداث ،سياتي كل شيء في وقته

مهند :سافعل ..ساذهب للنوم الان ..

لقد خلد الجميع للنوم، وغفت افكارهم في ادمغتهم، الجميع عالق بين الياس والامل، مشاعر متضاربه، الخوف من القادم من المجهول الذي سياتي بخيره وشره، ينامون بهدوء يتضح على محياهم، ومافي داخلهم يخضع لخضم المعارك، الخوف يعتري الارواح، يلتهم الانفس

لكن رحمة الله واسعه، فينزل السكينه على قلوبهم،فيجبر المكسورين، ويكون عونًا للمستضعفين وينصر المظلومين، فتداعب الطمانينه قلوبهم، ويغفون على (يارب وكلتك امري)

النجاح ليس نهايه الطريق والفشل قد لا يميتنا، لكنها الشجاعه فقط التي تجعلنا نكمل الطريق دائما في أي ظرف كان

تشرشل

رحمة ..

رحمه :امانه!

امانه وهي تمسك بيدها: كيف اصبحتِ؟

رحمة:الحمد للّه ..-تلفتت-اين حمزه؟

امانه: ذهب ليبحث لك عن دواء فوجد اسلام ومهند ومؤمن وجماعتهم، فقرر مساعدتهم .

رحمه: ومهمته؟ !

امانه: لاادري كان اسلام على عجل ،احضر الدواء وغادر.

رحمه:اتمنى ان يكون بخير!

امانه: انا ايضًا، انه فتى نبيل يستحق ...

رحمه: اخشى ان يصيبه مكروه

امانه: لاعليك، سيكون بخير!

رحمه:

ارجوا ذلك من اعماق قلبي ..

لقد دخل الكهف والفزع بادٍ على وجهه، ليصرخ :

مهند مؤمن حمزه هيا انهضوا!!

نهض الجميع فزعا ليقول مهند:

ماذا حدث يا اسلام؟

اسلام: لقد جعلوا موعد الاعدام اليوم ..

مهند: !!مؤمن: !!

حمزه: ماذاا!؟وما العمل؟

مهند: اخبرني بكل ما تعلم ..

اسلام:

كنت استقصي الاخبار، فسمعت انه سيعدمون عشر من الاخلاق، وان الزعيم اخبرهم ان يتريثوا لسبب لا يعلمونه، انصرف الحرس، فتسللت لداخل، نظرت للمساجين كانوا قد قيدوا من اقدامهم وايديهم، واثار الجلد تظهر على اجساد بعضهم، والاخرون مدرجون بالدماء، همست لاحدهم: اتعلم ان كان هنا شخص يدعى صادق، فصاح يبكي، انه راهم يعذبونه بوحشيه، فسالته ان كانت حبيبه هنا، فقال انها في سجن المخلب، وان صادق سينقل الى سجن الصخره، في الغد...وان هناك حمله اعدام

ستكون اليوم لخمس مساجين حبيبه من ضمنهم ..

مهند : يا الاهي!

مؤمن: علينا التحرك، تغيرت الخطه ..

مهند : اجل! حمزه وانا سنتسلل لسجن المخلب..

حمزه: لكن السجن يقود لكهف رحمه؟ !

مهند : اسلام ستوكل اليك مهمه نقل رحمه وامانه لمكان امن، ومؤمن عليك الذهاب للعم فاضل واخذ الاسلحه منه..فلنتحرك هيا ..

حمزه ..

اعطاني مهند سلاح، نظرت للسيف الذي احمله، لم اعتقد في حياتي قط ان حياتي ستكون بيدي، سمعته يتحدث عن التسلل لسجن المخلب، لكنه يقود لكهف رحمه، وهو لا يريد ان تؤذى، كما ان رحمه ستتالم ان تركت هذا الكهف، فهو المتبقي لها من رائحه اخيها، لكن لاخيار اخر! ذهبت مع مهند واسلام، كنا نجري ونسلك اقصر الطرق، لنصل بسرعه، وصلنا في نصف يوم، ولم يتبقى

سوى ساعات قله من موعد الاعدام، دخلت للكهف فاستقبلتني امانه، كانت رحمه نائمه ،ملامحها مقتضبه، فقال: رحمه ..هيا انهضي يا رحمه ..

فتحت عينيها شيئا فشيئا ونظرت له بفرح:

انت بخير؟

حمزه: عليك الخروج من هنا سنقتحم السجن لانقاض حبيبه، عليك المغادره فقد يصبح المكان خطيرا ..

رحمه: لكن يا حمزه!...

حمزه: اعلم لا وقت للكلام الان، ساخبرك بامر مهم لاحقا، غادري الان.

رحمه: سافعل

نهضت بتباطؤ وساعدتها امانه على ذلك فهي لاتزال متعبه، وخرجت من الكهف برفقه اسلام، وسرعان ما دخل حمزه ولحق به مهند عبر الممر الضيق وصولا للشق الذي يقود للسجن ..

مهند : سيكون امرا رائعا ان وجدنا حبيبه في تلك الحجره، دون مواجهه نمر شرس.

حمزه: اسنقتل النمر؟

مهند : اانت خائف؟

حمزه: بعض الشيء!

مهند : من العيب ان يعترف شاب مثلك بمخاوفه

حمزه: قد يكون الضعف في بعض المواقف قوه، تخيل ان اخفي عنك توتري وتصيبني رهبه امام ذاك النمر، فاقع مغشي علي.

مهند : ستكون ماساه

حمزه بضحكه: لن افعل ذلك، هيا اصمت الان هاقد وصلنا مهند نظر للشق واراد ان يرفع احدى الاحجار فامسك به حمزه الذي شعر بحركه خلف الجدار ...

الصوت: ينتهي كل شيء، سنحضر حمزه قريبا الى هنا فلا تقلق سيدي

رد : اتمنى ذلك ..كل شيء جاهز لنبدا الاعدام، فلنخرج هيا!

الصوت: امرك سيدي!

وما هي الا ثوان واطلقت الصافره، نظر حمزه لمهند وقال:

لدي شعور سيء

مهند: هيا لنذهب لا وقت لدينا ،تحدى مخاوفك

حمزه: لست خائف قلت شعور سيء فحسب

مهند: استمع ساذهب لاحضار حبيبه ابقى هنا في هذا الشق اياك ان تخرج

حمزه: اتيت لاساعدك

مهند: ستفعل قد نستطيع تحرير الجميع، وان حدث امر سيء فساقول تبا لك بصوت مرتفع وداعا لا تتحرك خرج مهند تاركا حمزه في الشق ،كان عليه ان يتوخى الحذر وينتبه لحمزه،

نظر للغرفه فوجدها خاليه، خرج للممر فلم يرى نمر كما المفترض ان يرى، لم يكن هناك احر سوى الزعيم يضع يد بيد ويقول: من اين ظهر فأرنا

مهند ..

كنت خائفا على حمزه، لازالت آمالي بانه هو من سيحرر الجميع فهو شاب شجاع، تركته وذهبت، لكن لم يكن هناك شيء هدوء عارم، حتى رايت الزعيم يقف امامي ،ونظرات الغضب في عينيه، وابتسامه النصر على شفتيه، نظرت خلفي فوجدت شابا يحمل سيفا يخرج من الغرفه التي خلفي، علمت ان لا مجال للهرب فصرخت لابعد حمزه: تبااا لك تبااا لكك

حمزه: ماذا يحدث؟ االحق به ، قد يغضب ان فعلت ذلك، امرني ان قال العباره تلك ان اغلق الشق وانسحب، وبالفعل، اغلقت الشق، ليس خوفا على نفسي بل لاني علمت انه يثق باني سافك هذا الظلم، تراجعت للخلف خطوات فرايت ذاك الوغد يجر مهند ويقول:

دلني على الشق الذي خرجت منه

مهند : في احلامك

لم يكن مهند شابا ضعيفا لكنهم كانوا اقوياء جدا، تمنيت لو انه استطاع الهروب معي ..

الزعيم وهو يضع السيف على معدته:

اخبرني كيف اتيت الى هنا؟

مهند : قلت في احلامك

الزعيم:

اتظن اني احمق، علمت ان حمزه قد هرب، ووجدت سجين كان من اتباعنا كان قد قدم مساعده لاحد فحكم عليه بالموت، لم ياكل تماما، كان قلبه ينبض، واستعاد وعيه، فاستجوبته ووعدته بالنجاه ان اعترف اين حمزه، فذكر لي من اين ذهب ،وعلمت من اي حجره اختفى، وها انا اوقعت بك يا مهند....

مهند : يالك من خبيث، اين حبيبه؟

الزعيم:

في سجن الجبابره، ستعدم هناك بعد ان يقتلها صادق وان لم يستطع قتلها سيعدمان في سجن الصخره

مهند : كيف ذلك؟

الزعيم:

اعلم انك تتبع الاخبار بطريقه ما ، فنشرتُ الخونه في السجن، وقد راي صديقك احدهم فكان من السهل الايقاع بك ظننتك حمزه لكن لاباس بك ..

مهند : أأ خائف من حمزه ؟

الزعيم: اخرس ستموتون جميعا

مهند : لاباس، فلتلذ بالفرار ايها البطل

حمزه ..

علمت ان العباره الاخيره لي وليس للزعيم، خرجت مسرعا من الكهف فوجدت مؤمن ينتظر امامه، رايته يحمل مسدسا ويقول:

هذا سلاح جديد لكني لا اعرف كيف يستخدم! اين مهند؟ امسكت بيده واخذته لاعلى الجبل بعدما اطلقت رصاصه داخل الكهف، اردت ان يسمعوا صوتها فأُريح مهند من الاستجواب ،رايت الزعيم يخرج بعد لحظات من الكهف، ينظر بغضب، يجوب المكان حيرانًا، كنت اتمى لو أُطلق النار عليه، لكنه بعيد ولن اصيبه فاانا لااجيد ذلك ..

غادرنا بعد ان اخبرت مؤمن بما حصل وذهبنا لبيت العم فاضل الذي ابيضت عيناه حُزنًا على مهند، كنت اجلس وحيدًا تطوقني غمامه أسى، لم استطعت مساعدة مهند وقد يموت ايضًا، لا ادري ما العمل؟! حتى اتت رحمه

رحمه: اانت حزين ؟

حمزه: انا السبب، لو استطعت مساعدته لتمكن من النجاه لكني جبان جباان.

رحمه: لاتحزن يا حمزه، سياتي الفرج مهما عسرت الحياه ..كما ان مهند يثق بك وانا كذلك والجميع، تستطيع فعلها تستطيع تحرير الجميع ..

حمزه: لكني كنت عاجزًا، وقفت مكتوف اليدين، لقد خذلته لقد خذلتكم جميعًا .

مؤمن: لا لم تفعل لقد كنت دوما قدوه للجميع، وما كان مهند لينقذك لو لم يعلم انك اهل لذلك.

اكتفى حمزه بتحرك نظره بين العيون التي تحيط به وتنتظره وكانه بصيص الامل القادم ليقول بصوت متعب: مستحيل!

مؤمن: اسمعني يا حمزه، كنت في يوم شخص احتله الاكتئاب فاستولى عليه ،كنت اتحدث انه ومن المستحيل ان ينجلي هذا الظلم الذي يفتك بنا ،وعندما ابديت عن هذه الفكره امام مهند صفعني صفعه لازالت تؤلم الى الان، وقال لي: ان المستحيل اكبر كذبه نصدقها ...

حمزه بدهشه :كيف ذلك؟

مؤمن: في خضم مواجهاتك التي تخوضها في حياتك، من صعوبات، من تحديات، من متاعب تُلقى على عاتقك، من حُزم ياس، وبصيص امل، تظل تتقلب بينهما، حتى تستقر على حياه واحده اخيرًا، وتواسي نفسك بان السبب كان المستحيل، الذي لا يتحقق ،ولن يتحقق، فهل فكرنا يوما ان مستحيلنا لاوجود له؟

لننظر لانفسنا، امن المُعقل ان المستحيل في تغير مستمر؟ فكما نقول ان المستحيل يتدفق وراء خيباتنا، ويقف امام احلامنا، فسيكون هذا المستحيل قانونا طبيعيا، وان كان كذلك، فمن المفترض ان يكون ثابت؟ !

لكنه بخلاف ما نقول، فهو يختلف من شخص لاخر...

حمزه: كيف ذلك؟

ان لك قوه لاحدود لها، ولتستطيع تحريرها ستحتاج الكثير من الجهد الشاق والكثير من العمل ورغبه جامحه في النجاح. وقبل هذا كله ايمان قوي بالله وبنفسك وقدراتك. هناك مقوله تقول: (لاتقل عن شيء مستحيل لعجزك عنه انت.).ولاثبت لك ايضا تامل قوله تعالى وهو الحق: (والله على كل شيء قدير)

المستحيل الذي لطالما آمنا به ،ولطالما صدقناه وكان الحَكم في حياتنا ،فرسمنا به حدود الطموحات، وجردنا الاحلام من حقها في ان تكون واقع ،هو تراهات تنسجها ادمغتنا، فعندما تؤمن بانك لاتستطيع فانت لن تستطيع في حياتك. اليك مثال ..

محمد صلى الله عليه وسلم، رسول الله وقدوتنا جميعًا، اما كان أُمّي لايقرا ولا يكتب ؟!لكنه في الواقع قد قاد الامه، وسيّر الجيوش ،وبلغ الرساله التي وكل بتبليغها ،العلماء الذين ندرسهم في الكتب من توماس اديسون واينشتاين

وغيرهم قد نالوا النجاح بعد الكثير من الفشل، في النهايه الفشل ليس عيبًا وانما هو دروس نتلاقها لنحسن النظر لخطوتنا القادمه ..

سئل نابليون يوما: كيف استطعت أن تولد الثقة في نفوس أفراد جيشك؟ فأجاب: كنت أرد ثلاث على ثلاث.. من قال لا أقدر قلت له حاول، ومن قال لا أعرف قلت له تعلم، ومن قال مستحيل قلت له جرب.

عليك بالمحاوله مرارا وتكرارا، فكلما وضعت يدك في صندوق احلامك تأمُلُ ان تكون الكره الحمراء نصيبك، تفائل، ولاتبتأس من الخساره، واعد المحاوله، فستراها في يدك اخيرا ولو كانت اخر كره في الصندوق .. ولاتصغي لصوتٍ دفين يريد احباطك وتثبيطك، وانما كن لهيبا يتغذى من لظى الحياه ، فلا اخفيك من الحقيقه ان العالم ليس كما تعتقد، وان الحياه التي تسودها الراحه هي: في جنات الخلد باذن الله، وانك ستزول اخيرا، لكن ان تزول دون ان تترك اثرا وكانك كنت عبئ على الارض فهذه هي الخبيه التي ستندم عليها، لذلك، بايمانك القوي عليك ان

تقف ببساله لتحارب كل ما يحيط بك من ضغط نفسي، وارهاق بدني، وان تضع المستحيل جانبًا ، للذين يفضلون الموت والذهاب بايدي خاويه، ثق بقدراتك فان لم تثق انت بنفسك،فمن ذا الذي سيثق بك؟

لا اريد ان اكون ماساويًا لكن لا احد ، لان الجميع يحبون مصاحبه الناجحين ورؤيتهم، وسماع قصصهم، وتقليدهم، فكن قدوه ،لتكون فخورا بنفسك في نهايه المطاف.

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- :

كونوا دعاة إلى الله وانتم صامتون

قيل :وكيف ذلك؟

قال :بأخلاقك

(٦)

حمزه: هل لكم ان تتركوني وحيدا قليلا؟

رد مؤمن: لك ذلك !

لم تكن رحمه على استعداد ان تخطوا خطوه واحده خارج الغرفه ولم تكن راضيه بما قاله مؤمن، فحمزه مشتت الفكر وترطه هكذا قد يصيبه بنوبه اكتئاب حاده لا خلاص منها، لكن ما باليد حيله، خرجت مع الجميع ..

حمزه..

ما العمل؟

كلما باشرت الدنيا بان تفتح ابوابها المؤصده، اكفهرت السماء وامطرت بزاوبعها فاغلقتها واحكمت الاغلاق ، ماالحل الذي سيخلصني من هذا كله، الامور شائكه منذ بدايتها ،لكني لا ازال حيًا، رغم كل ما تعرضت اليه وكل ما خضته من مواقف كادت تُدلي بحياتي، لاازال اتنفس، اذا لايزال لي مهمه علي انجازها، وقد اوكلت الي مهمه لم تكن بالحسبان قط، بلحظه واحده!

اصبحت الزعيم هنا ، وسينصاع الجميع لاوامري،تصرفاتي ازاء المواقف سيتحمل عاقبتها الجميع، اصبحت مسؤولا عنهم جميعا ، وانا الذي كنت اتهرب من مسؤولياتي عندما كانت تقتصر على كلمه "لقد كبرت "التي كان يتحدث بها ابي، على اي حال االشخص الذي يستحق اعتذاري هو ابي ،علي الاسراع للعوده اليه، لكن ما العمل؟ !

نهض وبدا يتحرك في الغرفه ذهابا وايابا ، يدور حول نفسه في حلقه مفرغه من الافكار الامتناهيه، حتى نظر من النافذه، كان منزل العم فاضل كبيرا فهو تاجر معروف، والغرفه التي اجلس فيها في الطابق الثاني، تذكرت رحمه الفتاه المسكينه التي قُتل اخاها امام ناظريها وظلت من بعده وحيده، تذكرت كيف هبت كنسمه مبشره بالمطر في موسم الجفاف وسارعت لامانه، لو ارادات ان تحسبها بالمنطق فما كانت لتتحرك خطوه واحده لداخل المنزل، حقا المنطق لا يستطيع تفسير كل شيء او حل كل شيء ،لابد للخيال من تحريكنا في ارض الواقع، انه يلامس العقول فيخفي منطقها عندما تزدحم المشاعر في القلب فانها هي من تسيطر.

وهذا تفسير منطقي لقوه الام عندما يعرض صغيرها للخطر، راى كومه من النمل يجتمعون حول قطعه خبز مُلقاة على الارض ،رايت العصفور كيف خَطف تلك القطعه وكيف حرم مجموعه من الطعام لكي ياكل، لكن كيف لنا ان نسترد حق النمل من ذاك العصفور الشره..

احيانا تاتي الافكار كعاصفه فتنفض اركان عقلك نفضا، واحيانا تاتي كمرض، فتجعل منك طريح الفراش، واحيانا اخرى تاتي كوهج من امل يبث في نفسك الحياه بعد ان ماتت رغبتك بها ...

هاهو حمزه يقف امامهم جميعا ويقول بصرامه:

اين مؤمن؟

ظهر مؤمن من غرفه مقابله وقال:

اطلبتني؟ !

حمزه:نعم سنتحرك بسرعه ..لكن في البدايه علينا احكام خطه.

ضحكت الوجوه ،واشرقت الشمس في نفوسهم بعد غياب طويل ،فقدوا قائدهم منذ قليل، والان يحصلون على قائد اخر في وقت قياسي!

حمزه: يا عم فاضل اخبرني من اي حصلت على المسدس؟

فاضل: اي مسدس؟ !

حمزه: هذا...

ومن خلف ظهره قد خرج ذاك السلاح الصغير..

فاضل :لااعلم اعطاه لي احدهم واشتريته بثمن بخس..قال انه مفيد في الحرب فاحتضرته لعل مهند يعرفه .

حمزه:هذا يسمى مسدس ..بدأ كل شيء في الصين، حيث تم إنتاج البارود لأول مرة في العالم. في القرن الـ9، حيث خلط الكيميائيون الفحم والملح والكبريت إلى مسحوق يسمى huo yao، والذي كان يستخدم لعلاج التهابات الجلد.

مؤمن: وما الصين؟ !

حمزه :احدى دول العالم بمسمياته الحديثه، اذا انتم لاتعرفونها؟

اسلام:لا!

حمزه:

على العموم انها مسميات ولن يهمنا تغيرها وتعددها استمعوا ..عندما علمت الجيوش بشأن هذا المسحوق الذي يمكن استخدامه في القنابل و الألغام وغيرها من الأسلحة. تم نقل البارود إلى أوروبا في القرن الـ13 ، على الأرجح عبر الطريق التجاري المسمى بـ"طريق الحرير" عبر آسيا الوسطى. وقد قامت الدول المتحاربة بتحسين وصفات البارود في القرون، التي تلت ذلك قبل الوصول إلى الخليط الأمثل: حوالي 75٪ من الملح، و15٪ من الفحم، و10٪ من الكبريت.هذا ما اعتقده !

اسلام:تبدوا خبيرا بالاسلحه؟

حمزه بابتسامه: قد تستطيع ان تقول انها احدى هواياتي . ياعم فاضل هل السوق الذي اشتريت منه هذا بعيد من هنا؟

فاضل: احتاج قُرابه يوم كامل للذهاب والعوده

حمزه: الا يوجد حل لتقليل المده، كاستخدام الاحصنه مثلا؟

سكت فاضل وبدا يفكر ثم قال: هناك عربات قديمه قد اتلفها الزعيم، عندما منع الخروج ،عثرت على احداها وكانت صالحه فخبئتها في احدى الكهوف. ان استعملتها قد اصل عند غروب الشمس.

حمزع بفرح: رائع!

فاضل: لكن هناك مشكله فمن الممنوع ان نستخدم نحن العامه من التحار العربات، من يستخدمونها هم فقط الحرس.

حمزه: اتعلم يا اسلام كيف يُنقل الطعام للمساجين؟

اسلام: كنت اراقب سجن الجبابره والمخلب ،انهم من النادر ان يطعموهم ولكن في سجن الجبابره تصل عربه الطعام كل يوم ثلاثاء اما المخلب ففي اليوم الذي يليه ...

حمزه بابتسامه منتصر وبنبره جائت وكانه استاذ يطرح سؤالا على تلاميذه: وما هو اليوم؟

اجابت رحمه بحماس: الاثنين!

حمزه: اذا غدا سيكون الموعد علينا تحضير كل شيء..

اسلام:لكن ليس من السهل التغلب على الزعيم!

حمزه: قل له يا مؤمن ما المستحيل؟

مؤمن: لا وجود له!

حمزه: اذا تسلحوا باليقين وسينصرنا الله .

امانه: كيف سنبدا؟

حمزه:ستبدئين انتِ يا امانه؟

امانه: انا ...كيف ؟

حمزه: ستتسللن ليلًا لتخبري اصدقاء والدك ومعارفك والاخلاق التي هناك باننا سنعلن حربا عما قريب، سيذهب معك مؤمن، واعتمد عليكما في اقناع الجميع.

مؤمن وامانه :حسنا!

حمزه: اما اسلام فستخبرني الان بكل المداخل التي تقد للسجون وستساعدنا رحمه في معرفه الطرق الفرعيه في الجبل .

-وبابتسامه-..والابار التي تقود لكهوف.

ضحكت رحمه وقالت: حاضره.

حمزه: عم فاضل، سنقوم مع طلوع الفجر بمساعدتك في نقل العربه

فاضل مقاطعا:

استطيع دفع اجر لعمال اثق بهم من الاخلاق سيقومون بالمهمه لضمان وفره الوقت، وساحرص بنفسي على المراقبه.

حمزه:لا مشكله بذلك، وانا سادبر لك منقذا من التفتيش الذي يحدث وستطتيع الخروج باذن اللّه.

فاضل: باذن اللّه .

حمزه:لدي سؤال ايها العم اسمعت بـ رماح الحرائق ...؟!

فاضل: صفها لي يابني لعلي اعرفها؟ !

حمزه : انها تتمثل تلك في شكل أنابيب من الخيزران أو المعدن التي تقذف اللهب و الشظايا باتجاه أهدافها.

فاضل: سمعت يا بني ان هناك حربًا قد اندلعت بين قبيلتين من اقوى القبائل القريبه في الشمال، اذكر ان صديقي الذي

يسكن هناك قال بان هناك اعواد خيزران تنفث النار، يومها ظننته مجنونا ..

حمزه: انها حقيقه ،اذا هي موجوده، عم فاضل ستسعى ان تجد لنا الاسلحه كهذه والمسدسات والبارود الذي تحدثت عنه .. واما نحن فسنسعى اثناء تجوالنا في تنفيذ المهمات بالبحث عن مكونات البارود.

رحمه: اسنصنعه؟

حمزه: اجل يا رحمه !

مؤمن: وهل سينفجر ؟

حمزه: سنبذل جهدنا ليحدث ذلك لكن علينا ان نكون حذرين .

فاضل: اخبرنا كيف اذا ؟

حمزه: في البدايه علينا ايجاد مكوناته وجلب بعض الملح الصخري. الملح الصخري هو الاسم الشائع لنترات البوتاسيوم، وقد كان يتم تصنيع الملح الصخري في الفترة التي انتشر استخدام البارود فيها من ذرق الطيور أو بول

الأحصنة وغيرها من ترب الزبل. ولاحضاره لدينا طريقتنا الاولى: ان يعثر لنا العم فاضل على شخص يبعيه ،ويصنعه، لان اعداده يحتاج لعشر شهور ولن نستطيع فعلها فنحن نريده فورا والثانيه :هي ان نحصل على احدى الكمامات التي تخفف الام العضلات قد توكل اليك هذه المهم يا عم فاضل فانت من تقدر عليها ..

فاضل :ساكون عند حسن ظنك باذن اللّٰه .

حمزه :اثق بك ...الان للنتقل للمكون الاخر الفحم سنحصل عليه ان ملئنا برميل معدني بقطع من خشب الصفصاف أو غيره من الأخشاب، ثم نضع البرميل في مشعل بغطاء مفتوح قليلًا من الاعلى وندع باقي المهمه للهيب الذي سيعمل بفعل سخونته الشديدة لمدة 4-6ساعات على تفحم الخشب وسنحصل على الفحم .

امانه : كيف يكون شكل الفحم هذا؟

حمزه :اسود اللون داكن ،وهو اشبه بالصخر .

امانه : لقد اخبرني ابي انه احضر لنا شيئا يستطع ان يوقد النار بسهوله وبشراره واحده ،كان شيئا كالذي وصفته الان.

حمزه :اين سنجده ؟

امانه :انه في بيتنا -اكملت والحزن قد اكتسى ملامحها - لا اظن اني امتلك قوه لدخوله مجددا.

حمزه :بل ستفعلين، لاجل احبائك الذي قتلوا بسبب الظلم، لاجل نفسك ولتتالي الحريه، ولاجل الجميع هنا.

امانه: حسنا سافعل!

مؤمن: اذا سنعمل على ايجاده ونحن عائدون.

حركت امانه راسها اي نعم والتزمت الصمت فاكمل

حمزه: نحتاج للكبريت النقي ولن نجده الا في مناجم ؟

فاضل : كبريت !اني امتلكه امه يستخدم لتجميض التربه.

حمزه بفرح: هو بعينه..نحتاج لهذه المكونات فقط علينا ان نبذل اقصى جهدنا لتوفير اكبر قدر منها.

الجميع: حاضرون!

حمزه: سأترككم الان لتنالوا قسط من الراحه وتخلدوا للنوم التحرك سيطون ابتداءا من صباح الغد ...

اسلام: وقت النوم اخيرا ...

ذهب الجميع للنوم امانه ورحمه في غرفه واحده ومؤمن واسلام في غرفه والعم فاضل في غرفه وحمزه فضل ان يبقى في غرفه الجلوس التي كان فيها وقال انه سينام هناك ...

حمزه ...

بعد التفكير في الامر، علينا ان ننجح، هذا الحل الوحيد، ان استطعت صنع البارود كما كنت افعل في بيتي لكي اصنع الالعاب الناريه فقد انجح بالفعل، لاوقت للنوم ... نهض حمزه وغادر المنزل يجوب الشوارع ويمضي في الازقه وصل للسوق الكبير، ظل يمضي بين الناس ، حتى تذكر مهمته،وسرعان ما حرك راسه لينسى الامر هو لا يريد الانشغال عن المهمه التي عليه انجازها الان، ان انجزها سيتفرغ لنفسه وان لم يستطع فسيحرص على ان تكون ميتته كميتت الابطال، لن يكون طماعا وانانيا فالجميع يحتاج المساعده وعليه ان يؤثرهم عن نفسه ..

لحظه! هذا بيت العجوز الطيب الذي يبيع الورد، سالقي التحيه ..

طرقت الباب مره ولم ياتي الرد فكررت الثانيه كذلك لا رد والثالثه لا رد، خشيت ان الفت النظر بفعلتي فقلت الاستاذان ثلاث وساعود الى هنا من جديد فها قد علمت انه لم يتبخر .. استمر بالمضي في الازقه ،راى زقاق نقش عليه اسم رحمه، دخل فيه، ووصل اخيرا الى طريق مسدوده، ما قصه هذا الزقاق الغريب

في الحياه ان لم تتعلم من الضرب الأولى فأنت تستحق الثلثيد!

نجيب محفوظ

(٧)

حمزه ...

زقاق عليه اسم رحمه وجدران قديمه مهترئه والنهايه تكون شجره صنوبر ضخمه وحجر عملاق ونقش ؟!، نظرت للنقش اردت ان احفظه لعل له صله برحمه

اخذت التف حول الشجره فرايت جذورها، كانت تمتد في الارض لكنها واضحه بعض الشيء لناظرين، دققت النظر فوجدت صورة سهم يشير الى الاسفل قد نُقش على الجذع من الخلف، فمددت يدي بين الجذور وبالفعل وجدت ورقه فتحتها وقرات:

"اختي الغاليه، كنت اعلم انك ستاتين لزياره هذا المكان لاستعاده الذكريات، اتذكرينه يا رحمه ؟ما يؤسفني انني لست معك الان لاكون بقربك، اتمنى ان تكوني بخير، كتبت هذه الحروف لاطلعك على سر اخفيته عنك ،اتعلمين الاسطوره يا رحمه تلك التي تتحدث عن انجلاء الظلم، في الواقع انها حقيقه تماما، فالله سبحانه قد وعدنا بالنصر وان الغلبه ستكون للمؤمنين دوما، لقد كان ابي يعد العُده

لمساعدة ذاك الفارس الذي سياتي الى هنا ويهرع الى انقاذنا، فكان يحرص على تخبئه الاسلحه وحفر الاخاديد والشقوق، وانا اكملت المسيره من بعده، عليك زياره المكان يا رحمه ستجدين هناك رساله اخرى لك في شيء تحبينه هناك، الموقع هو مكان تلتقين به مع الشمس ...حافظي على نفسك ...احبك...نبض"

انه نبض ينقذ رحمه دوما، قالت ان اخاها ياتي لمساعدتها دوما، عندما تشعر ان السبل قد تقطعت بها، واليوم هو يساعدهم جميعا ،وضع الرساله في جيبه وقرر العوده، في اثناء تجوله، مر بسجن المخلب السجن الذي كان فيه من قبل، كانت الحراسه مشدده ويبدوا ان السجن في حاله من الفوضى العارمه ،الحرس يتخبطون ببعضهم البعض، وقفت في مكان حرصت ان ابتعد عن العيون لكن في الوقت ذاته تكون عيوني عليهم، رايت الزعيم ينزل من عربه قد وصلت توًا، كان الغضب يشتعل من عينيه، حتى انه ضرب احدى الحرس فطرحه ارضا، هناك شخص قد وضع يده على كتفي، يا الاهي قد امسكوا بي ،التفت فاذ بشخص

يسحبني من يدي ويبعدني عن المكان ،لقد كانت صدمه كُبرى، انه يشبهني، بطولي بعمري بوجهي بملامحي وكانه انا!!

كيف ذلك؟ !

قلت له: من انت؟

قال: من انت؟

قلت :تشبهني كثيرا!

رد :انت الذي تشبهني ماذا كنت تفعل هناك؟

حمزه : ايكون السجن دائما في حاله الفوضى هذه؟

قال: لا لقد هربت انا سجين.

حمزه بصدمه: هربت؟ ! كيف؟ ؟

قال: من انت؟

حمزه : لم أُعرفك نفسي المعذره اسمي حمزه وانت مااسمك؟

قال:

انت حمزه !!الهارب من السجن ..

حمزه وهو يضع يده على راسه فيتحسس شعره: يبدوا اني اصبحت مشهورا جدا.

قال: اجل يا صديق، لنذهب من هنا فالمكان خطر.

حمزه: هيا لدي مكان آمن تعال ..

قال: حمزه لم اخبرك باسمي انا يوسف ..

حمزه وهو يستذكر اين سمع هذا الاسم: اهلا بك يا يوسف، انت من العامه؟

يوسف: نعم، انا كذلك لكني ارفض هذا الظلم وددت لو انقض على ذاك الوغد واقطعه اربا اربا ..

حمزه: تبدوا قويا؟!

يوسف: لقد كنت صبي مدلل في ما مضى لكن اختلف الوضع بعد خسارتي تجارتي وقررت خوض التجربه خارج البلاد وهناك تعرفت على تاجر كبير، وساعدني في استعاده ذلك، ولم يكتفي بها وحسب وانما علمني ركوب الخيل وخضعت لتدريبات شاقه، وها انا ..

حمزه: ولماذا سُجنت مادمت لست خُلقا؟

يوسف: لقد ارتكتب خطا فادحًا، وانا آسف عليه فعلا ،وعلي تكفيره، لكن المشكله انني لم استطع ..

حمزه : ماذا فعلت؟

يوسف :ابي، انه يحبني وبشده لكني نكرت معروفه وفضله وتركته وحيدا وذهبت ..وعندما ارتدت الاعتذار بدى ذلك علي فحبست بتهمه انني اصبحت خلوقا ، .

حمزه: تذكرتك ...انت يوسف!

يوسف: مابك قلت لك هذا من قبل؟

حمزه :لا اقصد اني اعلم اين اباك لقد قابلته تعال معي اعلم اين منزله ...

يوسف :انتظر سيكون من الخطر الذهاب الان ساعرض والدي للخطر فانا ملاحق ...

حمزه: صحيح...اذا هيا معي، اتبعني ..

ذهب حمزه وقد وجد رفيق لمرافقته في طريق العوده والحديث يجتر الاخر ..

يوسف: لقد نجوت بفضل شاب قد احدث جلبه كبيره في السجن، كان ماهرا في القتال، لقد علمت ان الزعيم اختفى، ومن ثم تحرك هذا الشاب فقضى على الحرس وكنت قد امسك بي توًا فعاونته فانا اجيد المبارزه بالسيف، ونجونا...

حمزه:واين ذهب الشاب ؟

يوسف: لم يخبرني اين ذهب، لكن يبدوا انه على عجل.

حمزه: اهو احدى الاخلاق؟

يوسف: اظن هذا فالنور يشع من وجهه

حمزه بفرح : اذا قد نجا مهند هذا رائع

يوسف: اتعرفه؟

حمزه: صديقي العزيز

دخل حمزه لمنزل العم فاضل والقى السلام كان الجميع في انتظاره فالفجر قد شارف على البزوغ، احبرهم بما حدث وقص يوسف عليهم قصته، وتحدثوا عن فرار مهند ،ولماذا لم ياتي الى هنا وهو يعلم هذا المكان جيدا، ثم نهضوا للصلاه

واصطفوا وأمهم مؤمن، الذي كان صوته حسنا يبعث في النفس الطمانينه قرا من قوله تعالى: (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ❖والذين هاجروا في اللّه من بعد ما ظُلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنه ولاجر الاخره اكبر لو كانوا يعلمون ❖الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) ابكته الاياات وبكى معه الجميع، كانوا بحاجه لمواساه تطمئنهم، وهاهي قد اتت وممن؟ من الذي ان قال لشيء كن سيكون.. انتهت صلاتهم ةباشروا في خطتهم المتفق عليها، انطلق كل لمهمته ،لكنه تذكر امرا هاما: رحمه!

حمزه: رحمه هل لك ان تاتي قليلا!

رحمه: حاضره.

حمزه: خذي هذه

رحمه : ماهذه ؟

حمزه :اقرئيها

اخذت رحمه تقرا رساله اخيها وتبتسم والدموع تتناثر من عينيها، اغلقت الورقه وقالت: اين وجدتها؟

حمزه بابتسامه: :تِهت في الزقاق فوجدتها مُخبأة في جذر شجره معمره.

رحمه بضحكه :تهت مجددا؟

حمزه: اجل!

رحمه: شجره ...انها الشجره التي كنا نحتمي خلفها في صغرنا، عندما كان الحرس يلاحقوننا ،هل لك ان تاتي معي؟

حمزه:سناخذ معنا اسلام ان لم تمانعي؟

رحمه: لاباس، اسنباشر بالمهمه؟

حمزه: مهمتنا اصبحت البحث عن السر الذي اخفاه اخاك .

رحمه بابتسامه: اذا هيا لنذهب ..

حمزه: هيا

اسلام...

كنت امشي في المنتصف حمزه عن يميني ورحمه عن اليسار، كان الجو صامتا، فرحمه تنظر للارض بعيون دامعه وحمزه شارد الذهن تماما، شعرت وكاني بين كوكبين ،كل

كوكب يتعرض لكارثه مختلفه ،فقررت كسر الصمت لعلي اخفف عنهما ما هما فيه فقلت

متى سنصل؟

رحمه: وصلنا ....

اسلام:أخيرا

حمزه يتقدم الان يقف امام الشجره ويشير للاسفل ويقول: هنا وجدتها يا رحمه.

اقتربت رحمه ونظرت للمكان، قد تحركت عواطفها، وتذكرت صوره اخيها، ثم قالت: المكان الذي اقابل فيه الشمس؟

حمزه:اي مكان هذا؟

رحمه: لا ادري اي مكان زرت مع نبض الكثير من الاماكن المشمسه

حمزه:ارجوك يا رحمه عليك التفكير فالوقت ضدنا.

رحمه: لحظه ماهذا النقش؟

اقتربت فرات رسم بدائي لفتاه تقف على حجر، نظرت للحجر الذي يلي الشجره، واتجهت نحوه، حاولت تحريكه لكنها لم تستطع ..

حمزه:احم اذا سمحتِ، ساقوم بتحريكه لك.

اسلام : هل هذا ممر سري؟

رحمه: لا اعلم!

الصخر ثقيل جدا ولكن تغلبت رغبه حمزه الجامحه في النجاح على ثقله ،حركه فلم يجد شيئا.

اسلام:يال خيبه الامل!

رحمه: لا تستعجل انظر لهذا.

كانت خريطه قد نقشت على الصخر من الاسفل، ليست واضحه تماما لكن رحمه قالت: عرفت المكان لنذهب! واخذت تركض بفرح، تبعها حمزه واسلام، وضحك حمزه عندما تذكر انه لا يجاريها في سرعتها، وانها كانت تهرب منه بسرعه فائقه، دخلت في شق بين الصخور، ووقفت في نهايته المغلقه اخيرا...

اسلام: انا لا ارى شمسًا هنا؟

رحمه تلتفت اخيرا بفرح وتقول: الان استطيع ان اقول لكما ان هذا مكان سري ...

حمزه : لكن يا رحمه، اين السر؟

رحمه : هذا، انتما حقا لاتنظرنا الى ما انظر ،هل لك ان تقترب يا حمزه؟

حمزه:لاباس

اقترب حمزه من موقع رحمه وبالفعل عندما وقف بجوارها استطاع ان يرى ما تراه انه شق في الصخور يقود الى مكتبه، عالم مزدحم بالكتب ،اجاد نبض اخفاء كتبه حتى ،وثب حمزه ودلف للداخل بعد ان ساعد رحمه واسلام على الدخول..

اسلام: يال كم الكتب الهائل !!

رحمه :اخي يحب القراءه...حمزه هذا ليس المكان المطلوب علينا الصعود لاعلى ..

حمزه: لنصعد اذا ، علينا الحذر فالوقت ليس في صالحنا. .

رحمه تلفتت بعيون دامعه وتقول :هذا هو المكان يا حمزه، انظر الى هذه الصناديق الضخمه الغريبه !

اسلام : ياله من مكان !

حمزه:اسلام فتش عن كتب فيها معلومات قد تفيدنا.

اسلام:سافعل

حمزه:رحمه ..ابحثِ عن رساله نبض ، الم يقل انها في مكان تحبينه؟ !

رحمه :سافعل ياحمزه ..لكني لااستطيع ان اتحرك شبرا واحدا هنا اشعر اني سابكي .

حمزه: لو كان نبض هنا لغصب بسببك .

رحمه بدهشه :ماذا؟!

حمزه: انه يسعى لبقائك زهرة متفتحه ، تبعث عبيرها في كل نفس تمر بجوارها ، وانتِ تخالفين رغبته ببكائك هذا .

رحمه : ليس من السهل ان تفقد شخص تحبه يا حمزه، شخص قد تمضيت عمرك معه ،وكان دوما ما يضيئ دربك، انهلامر صعب صدقني .

حمزه: اعلم هذا -وبسخريه- انت تعلمين ايضا اني وحيد ،وفقدت اهلي ومعارفي وعالمي دُفعه واحده ،اتركِ مشاعركِ جانبا وباشري بتنفيذ مهمتك ،ابحثِ عن رساله نبض الان ،ليس لاجلك ،وانما قديكون فيها معلومات مهمه.

غادر وتركها وحيده ، لم تعتد ان يكون حمزه هكذا ماذا حدث له ؟! ذهب ليفتش في الصناديق وبالفعل وجد اسلحه مختلفه ...

حمزه : يبدوا اننا لن نحتاج لتصنيع البارود !

اسلام:لقد قسوت عليها يا صاحبي..

لم يجبه حمزه فهو يدرك ان للفقد فاجعه ،لقد مر بهذا الشعور مرارًا ،ويدرك جيدا عمق الصدع الذي يتركه في نفس صاحبه ، لكنه يدرك ايضا ان هذا الوقت لا يوجد فيه متسع لالسماحِ لمشاعرنا بالعبث فينا ،فعندما تتجرع من كاس الضياع كثيرا ،ستبدا بتميز المهمات والعمل عليها

بدقه اكبر ومهاره اعلى..صمت حمزه حتى ادرك اسلام انه لايريد من احد ان يتدخل فيما حدث فهو يعلم ما يفعله جيدا..

اسلام:اين البارود؟ اني في شوق لاراه !

حمزه بهدوء :هاهو

اسلام: اهذا سينفجر حقا ؟

حمزه: اجل ،انظر الى تلك البراميل هناك انه تحتوي في داخلها كميه من البارود وعندما تقتم باشعال الحبل الذي يخرج منها وتصل الشعله للداخل سيشتعل المكان بانفجار البارود.

اسلام : كيف سننقله الى حيث منزل العم فاضل ؟

حمزه: لقد قام نبض بحفر شقوق اسفل المكان تقود لكل جزء في المدينه ،انظر لذاك البهو هناك.

اسلام:وماهي الاوامر الان؟

حمزه:

استمع لي جيدا في البدايه استدعي الجميع الى هنا، انا متاكد انهم يجتمعون في بيت العم فاضل.

اسلام:احتاج الكثير من الوقت للوصول الى هناك.

حمزه: اخبرهم ان يتبعوك فقط

ثم اردف قائلا:

انظر لهذا الكتاب انه مخطط لارقام الطرق المخفيه ومخارجها واين ستقودك، ستسهل علينا المهمه، وهناك طريق يقود لحيث بيت العم فاضل، ولتندهش اكثر من هذا مخرجه في بيت العم فاضل، هذا يدل على علاقه كانت تجمعه بنبض.

اسلام: اذا ساذهب في الحال.

ابتسم حمزه وقال: سأنتظركم جميعا لنشل اول هجوم. غادر اسلام المكان بحماس كبير وبالفعل سلك الطريق الذي اخبره به حمزه فوصل لنهايته واذ به يفاجئ بباب، يدخله على بيت السيد فاضل ، لم تكن المفاجئه له فقط وانما للجميع، ابتسم العم فاضل عندما راه يخرج وقال ان هذا الباب سر بينه وبين نبض الشاب الطيب، لم يكن يعلم ان نبض شقيق رحمه...

جال حمزه بناظريه فراها تمسك ورقه وتبتسم ، فابتسم هو ،لقد وجدت رساله اخيها، وهي الان تبكي، تبكي بالم ومراره، قد احرقت فؤادي، فضلت تركها وحيده الان، والجلوس في مكان اخر لعلها ترتاح من عناء حمل الدموع الثقال على صدرها ..

حمزه..

أمسكت بكتاب ،كان ملقى على المكتب ،علمت انه آخر ما قرأ نبض كان عنوانه" محاكاة عالم الأخلاق، هنا كانت بدايتنا"

فتحت الكتاب وقرأت:

"منذ الثانيه الاولى التي ولد فيها هذا العالم تعهد الشيطان لنا بان يجعل طريقنا حافلا بالمتاعب، بالاعتراضات، بالتوهمات بان يستمر بالوسوسه في صدور الناس «قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين » ،ولد الزمن من عقارب الساعه ،التي لفظها بعيدا ، ويتحمل عناء مهمته الشاقه ،كان يراقب الاحداث،ويرى كيف بشر شخص بفتاه فعاد لمنزلهم مسرعا وكان هناك

اعصار قادم يريد تحذير اهله منه ،تبعه الزمن ، وراه يمسك بامراته في غضب ويلقيها ارضا ،ويقول :

ما قدمت لي خيرا قط ،والان تخزيني بفتاه ،تسائل عن هذا الكره المطبق ، ودهش من ان الاب قد حمل ابنته وجرى بها حتى وصل الصحراء حفر حفره والقاها هناك ، وقال :على العار ان يموت قبل ان يلقي بنا للخزي ؟!

اهكذا ينظرون لمخلوقات الله ،لأرق من على هذه الارض ؟!

هرب الزمان وسلك الصحراء مبتعدا عن تلك الكارثة، وعن ذاك الوحش ،لازال يسمع صراخ الفتاه وهي تبكي لازال صدى صوتها يرن في أذنيه، حتى ظهر نور غريب من الجبل، قال: لعله شهاب!

وصل القريه مع صباح اليوم التالي ،وقرر العيش هناك ما أدهشه ان أخلاق الناس كانت في تحسن مستمر ،ترى ماذا يغيرهم؟

ما السر الذي يخفونه؟

(ابتسم حمزه وقلب الصفحه إلى التي تليها فوجدها ممزقه فذهب الأخرى وقرا): انه يبكي مع الجموع !ايعقل احقا مات رسول اللّه!

هذه شائعه لاشك ان الناس يتداولونها كما يفعلون دائما، انها كذلك فمن المستحيل ان يموت...

﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئا وسيجزي اللّه الشكرين ﴾ -ال عمران /144-

كانت صاعقه امطرت باعاصيرها على القلوب والعقول ، لقد ارتقى الدين وعاد مجد الامه، لقد انتصرت امه الاسلام وحاربت ما واجهها من ظلم واستبداد وطغيان ،وانتشر الاسلام ووو..... مات محمد صلى اللّه عليه وسلم ،وهاهي العيون تذرف دما لشده حزنها والقلوب تبكي رثائا لمحبوبها والحياه اصبحت مشتته مليئه بالضجيج، المؤمنون يعودون لصلاتهم ليستعيدوا سكينتهم التي ودعوها قبل لحظات، ايمانهم كان اقوى من موقف اقوى من فقدان ،انه يسكن القلب فينغرس فيه ، انه عمادهم الذي يستندون عليه

.

بعلائه وغنائه، وكان من واى ابن الخطاب عَلِمَ انه خلق عونا للاسلام، كان والله أحوذيًا، نسيجًا وحده، قد أعدَّ للأُمُورِ أقرانها »

لم يتوانى ابو بكر الصديق -رضي الله عنه -عن قتال المرتدين عن الدين ومانعي الزكاه، بل غضب اشد غضب وارسل جيوشا ضخمه ليخبر الجميع ان الغلبه لدين مهما كثرت طوائف المعاندين.

نظر الزمان للحروب التي وقعت والمعارك التي حدثت وكيف ان جيش ابمسلمين كان يمضي بلا اكتراث لما قد يواجه فانهم سنالون احدى الحُسنين، نصر من عند الله ، او الشهاده في سبيل الله ..

همس الزمان لنفسه محدثا: اخلاق الثابتين لازلت قائمه، مازرعه فيهم رسولهم الكريم -صلى الله عليه وسلم -لايزال حيا في عروقهم، تضخه افئدتهم، يحيي عقولهم ،وينير الله قلوبهم، فتظهر تلك الاخلاق على جوارحهم ...)

اين البقيه صفحات ممزقه ؟

شرد ذهنه... إذا بدايه الأخلاق كانت منذ زمن الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم ،وبدأت بالانحدار التدريجي حتي تشكل هذا المكان ..

نظرت لمصدر الضوء وتحركت نحوه، فوجدت نفسي اقف على جبل مرتفع يكشف القريه باسرها، وقفت شارد الذهن، افكر بصوت مرتفع قليلا :

طالما هناك مكان يقود لكل سجن هنا فلماذا لم يقتحم نبض المكان وينقذ الاسرى، لابد وانه ادرك ان قوه واحده لاتكفي، ولو انقذهم فسيعودون لمكانهم بعد الامساك بهم، الساعه الان تقريبا الواحده ظهرا ،بعد ان نجتمع سنبدا بالتحرك، يارب ساعدنا يااللّٰه، اعنا على رفع هذا الظلم الذي فتك بالكثيرين.

رحمه: امين ..

التفت لها حمزه وقال: اراكِ قد وجدت رساله نبض!؟

رحمه: نعم ،وجدتها

سكتت قليلا ثم قالت: حمزه! هناك امر عليك ان تعلمه، هناك رساله لك.

حمزه بدهشه: لي؟ !!

مدت اليه الورقه وقالت:

هذه لك امسكها حمزه وجلس على الارض فتح المغلف وامشك بالرساله وقبل ان يقرا قال: اتعلمين مافيها؟

رحمه: لا اخبرني ان اعطيك اياها فحسب.

حمزه:لاباس

"ايها الفارس القادم، شكرا لك لنضالك ورغبتك في انقاذنا، كنت اتمنى ان اكون حيًا ،لاكون ذراعك اليمنى، واعاونك، لكن اسال اللّٰه لك التوفيق...

لاشك انك علمت عن السجون الثلاث ،واسطوره البوابه،ولاشك انك تعلم ان سجن الصخره يعذب بطريقه سفاحه ولكن لا احد يعلمها، تسللت يا صديقي لذاك السجن، رايت كيف يقتل الناس هناك، انهم يقومون باشعال

حجر اسود له القدره على التجمر، وكان النار قد دبت في ذاك الصخر ، ثم يلقون بهم عُراه على اسياخ من حديد تعلوا تلك الحجاره، ويقومون بضربهم حتى يسقطوا على تلك الاسياخ، تراهم بعد ذلك يتحركون كما الثعبان ذهابا وايابا، ومن ثم يلقى عليه بدلو كان قد وضع فوق رؤسهم يحتوي على عدد كبير من تلك الحجاره المشتعله فيموت وتلتهمه السنه اللهب. ويحرقون ما تبقى من عظامهم في اخدود مشتعل.

اعلم مدى الوحشيه تلك ،وادرك انك حزين الان، لكن عليك تخليصهم ايها البطل، هناك ممر يقود لاسفل البوابه، تستطيع تفجيره ،بماده مشتعله كنت اجمعها لك، هناك سهام ايضا تستطيع استخدامها، لم استطع حفر طريق يقود للسجن من الداخل لكنك ستصل لاخدود النار، فحرص على ان لاتصله في وقت حرق احدهم ستشوى اذا فعلت ذلك، ايام الاعدام هناك تكون يومي الجمعه والسبت، كن حذرا ... هناك طلب اخير، اريدك ان تعلم حقيقه وجودك هنا، لاياتي هنا سوى الذين كانوا سيئين فارادوا تصحيح اخطائهم،

لاشك انه تم استدعائك الى هنا لانك كنت في يوم شخص سيء، لايهم ما كنت عليه، المهم ماهو انت عليه الان، اريدك ان تدرك ان لهذا العالم ارتباط بعالمكم، فكل الاخلاق السيئه لديكم، تنتقل لعالمنا لتحارب الاخلاق الجيده، قد تعتقد اننا عالمان، ولكننا عالم واحد، نحو نتواجد على ارض الواقع، ولكننا نكون في االاشخاص كاخلاق ...

ان المؤمرات ضد الاخلاق غالبا ما تحاك هنا، من وراء جدر، فلا تصدق مل ماتراه عينيك يا عزيزي، فما تراه امامك قد يكون متفق عليه من قبل ....

لي طلب اخير، اختي رحمه، لا تعرضها للاذى ارجوك. اتمنى لك التوفيق ...نبض "

ابتسم حمزه ونظر لرحمه التي ترقبه بعيون متلهفه لسماع ما سيقوله ..

حمزه: ان لك اخ رائعا ..

رحمه: اعلم هذا

لم تُتح لرحمه فرصه لكي تسال حمزه عما كُتب في رساله نبض، فقد وصل الاصدقاء...

دخلت امانه وانقضت على رحمه وهي تبتسم، مما دفع رحمه للابتسام، وابتسم حمزه عندما راى اصدقائه يدخلون وقال: انا حقا مسرور لانكم هنا ..

مؤمن :لقد وافق الجميع على المساعده يا حمزه

حمزه:جيد...الان لنوزع المهمه الجديده

تقدمت امانه وقالت: هذا الفحم يا حمزه .

حمزهاحسنتِ عمل رائع.

العم فاضل: هناك خبر سيء لم استطع توفير تلك المادتين، ولن يتواجدا هنا الا بعد يومين كحد ادنى ..

حمزه:لاباس، وجدت بارود.

مؤمن :حقا!!

حمزه: اجل ..الان لنبدا توزيع الخطط ...

عليكم توخي الحذر قبل كل شيء، مؤمن ستذهب لزرع ثلاث عبوات بارود اسفل البوابه، وتحفر ثقبا وترفع احدى

الحبال منه كن حذرا فليس على احد ان يراك، ومن ثم ستخرج من مكان قريب ،لن تواجه ايه مشكله فالعامه لايصلون للبوابه الا موعد حمله التجار وهي تقام في يوم واحد من ايام الاسبوع، والحرس اناس اشرار،

لكننا لن نعاملهم بالمثل، حذرهم ان ابتعدوا ابتعدوا وان لم يبتعدوا فلهم جزيه عنادهم ،لكن تحذيرك لهم لن يكون الا بعد اشعال النار ،اشعلها واهرب وقل لهم ان يهربوا. لكن قبل هذا ستكون اشارهزاشعالك للنار عندما ترى غمامه دخان تخرج من ناحيه سجن الصخره فهمت؟

مؤمن: امرك.

حمزه:اذهب الان فلا وقت لدينا.

مؤمن : حاضر ..

حمزه: اسلام انت تحب التسلل وماهر في ذلك صحيح؟

اسلام: طبعا

حمزه : ستذهب من مخبا اخر هذه المره ستخرج بعد ان تثار الجلبه بين صفوف الحرس.

اسلام:في اي سجن؟

ابتسم حمزه وقال: لا يوجد مساجين في سجن المخلب الان بسبب هروب يوسف منه، انهم يحرصون ترميم ذاك المكان، لذلك ستذهب لسجن الجبابره وتحرر صادق وحبيبه والمساجين هناك.. بعد ان يفجر سجن الصخره.

اسلام :حاضر ..

حمزه: ستاخذ معك سيفان، لك واحد واعطي سجين ماهرا في استعمال السيف واحدا ..-ابتسم اسلام وتابع حمزه- اما انت ياعم فاضل فخذ هذه السهام لسكان التل القريب من سجن الصخره، والذين يسكنون سجن المخلب، وقل لهم ان يشعلوها قبل رميها وان الاشاره ستكون رصاصه ساطلقها انا.

العم فاضل: حسنا

حمزه: لحظه ياعم هناك ما ساخبرك به ...

اقترب حمزه من العم فاصل واخبره بشيء ما فابتسم وغادر المكان عبر الشقوق ،ابتسم حمزه الفتاتان المتبقيتان وقال: انتظراهنا ساعود

رحمه:الن توكل لي مهمه ؟

حمزه:ساخبرك بها عندما اعود..هيا يا يوسف!

يوسف: هيا

حمل يوسف اربع براميل وقود بامر من حمزه، وقام حمزه بوضع البارود في كيس كبير وفعل هذا باخر وتقدم من الشقوف ....

بعد فتره ليست بالطويله عاد مع يوسف وقال : مهمتك يا رحمه ان تبقي هنا..

رحمه:لن اقبل بهذا علي ان اساعدكم.

حمزه : لكنك ستفعلين هذا ببقائك هنا.

رحمه: لااريد

قال حمزه:سنتناقش في الامر عندما تعدين الشاي هيا قد ترك نبض هنا بعض منه.

نهضت رحمه وقالت:

لكن عليك ان تعلم اني لن اظل هنا.

ابتسم حمزه وتاكد من انها ذهبت وقال:

امانه!اعتني برحمه، ستكون مهمتك هي ابقائها هنا ،لاتدعيها تغادر المكان ،ولاتغادريه انتِ ايضا.

امانه:لكن يا حمزه ...

حمزه مقاطع: سنكون بخير

يوسف: كيف يتقنع رحمه بذلك؟

حمزه: سترى بعد قليل

اتت رحمه تحمل الشاي وضعته امام حمزه وقالت: هذا الشاي ما مهمتي؟

قام حمزه بصب الشاي، وقدم لها كاسا وقال: لن اخبرك بشيء اذا لم تشربي هذه ،مارايك؟

نظرت له رحمه بنظره شك وقالت: أنتأ صادق؟

ضحك حمزه وقال: انا حمزه ولست صادق، اشربيها اولا! اطاعت الامر وما ان انهت اخر شربه في الكاس حتى غطت في نوم عميق.

يوسف :نامت؟

حمزه:هذه شربه مهدئه ،ستظل نائمه على الاقل ريثما تهدئ الجلبه ،لنتحرك الان !

نهض يوسف خلف حمزه وسلكا طريق مؤديه لسجن الصخره الذي يشكل كابوس هذه المدينه ،ابتسم حمزه وقال ليوسف:امستعد ؟

ضحك يوسف وقال :دعنا ننهي هذا الان .

تقدم حمزه وبدا بصعود ذاك الاخدود، لم يكن هناك حراسه عليه، فهي لاتكون كذلك الا عندما يكون هناك اعدام ،تقدما روايدا رويدا ،وسمعا احدى الحرس يقول:

السجن لم يعد ممتع

ردعليه رفيق :لماذا؟

فاردف: تهن خال تماما من السجناء ،وهذا الامر مؤسف!

اجاب زميله:

اوافقك الراي لكنهم سياتون غدا ،سنتسلى بهم!

ضحك وقال: صدقت

نظر حمزه ليوسف نظره تعني انهما لن يخافى شيئا هناك برميلان من البارود في الاخدود ،سيثيران دخان كافيا لزرع اخر داخل السجن ،وبالفعل نزل حمزه للاسفل لقلب الاخدود واطلق طلقه البدايه ،كان الجميع يبحث عن مصدر الصوت لكن السهام المشتعله التي توالت لم تمهلهم لحظه واحده في التفكير فيه حتى ،صعد حمزه وساعده يوسف وابتعدا عن الاخدود مسافه كافيه واطلقا سهامها المشتعله في الاول لم يصيبانه والثاني والثالث ،وان تقدم احداهما قد يموت في الانفجار ،نظر حمزه ليوسف وقال :ما الحل ؟

يوسف: سأصيبه تريث قليلا

اعاد المحاوله ولم ينجح ايضا واذ باحدى الحراس يكشف امرهم ،راه حمزه فقال :يوسف اختبا

يوسف :وانت ؟

حمزه:هذا امر نفذه حالا

تردد ولكنه اختبا اخيرا حمل حمزه سهما واشعله وتقدم نحو الاخدود صاح يوسف :حمزه توقف ستموت .. لكن حمزه لم يعره اهتمام ونزل للاسفل واطلق السهم من هناك ،وبالفعل حدث الانفجار ،الاول ...

اسلام ...

كنت جالسا اترقب الجلبه ،وادعوا لرفاقي بالتوفيق، وبالفعل مع صوت انفجار كبير دب في سجن الصخره ،خرج جميع الحرس لينظروا غير مصدقين ما يحدث ،انتهزت الفرصه وصعدت للداخل حررت صادق واعطيته سيفا وبدات بفك قيود الجميع كانوا خمسه عشر شخصا ،نجحت في فك اقفالهم جميعا ،قلت لهم: غادروا حالا هيا .

ساعدت الجميع في الهرب ولم يبقى احد ،كنت غاضبا مما فعله هذا السجن بالكثير من الابرياء ،حملت عدد من الفحم ووضعته بين ملابس الجنود واشعلت فيه النار وخرجت مغلقا باب المخبأ بصخره كبيره .

مؤمن ..

رايت الانفجار الاول ،فاقتربت من الخيط الذي زرعته لكن احد الحرس امسكني هناك ،وقال :ماذا تفعل هنا ؟ خشيت ان ادمر الخطه ،وان اكون سبب الفشل ،فضربت الجندي واشعلت الحبل ،وسرعان ماابتعدت وصرخت: سينفجر المكاان ابتعدووا

لكنهم لحقوا بي للايقاع بيليس رغبه منهم في الطاعه .امسكوا بي اخيرا لكن في مكان بعيد عن البوابه ودهشوا عندما انفجرت فانتهزت فرصه اندهاشهم وافلت من ايديهم...

العم فاضل...

الجميع قد وافق على خطه حمزه ،فهم يرفضون الذل الذي وقع عليهم ،والظلم الذي بسببه فقدوا الكثير من احبابهم واهلهم واصدقائهم..ونجحت ولله الحمد ،بعد رمينا السهام المشتعلة كان حمزه قد توصلني بإلقاء اكبر قدر ممكن جمعه من الورق والإعواد الخشبية ،ومن ثم إشعال الفحم وإلقائه .. ،

يوسف ...

رايت حمزه يذهب لاشعال المكان حاولت منعه لكنه كان يعتمد علينا في باقي المهمه وما فعل هذا الا لانه يريد منا ان ننجح ،فذهبت وانا اكفكف دموعي ،وزرعت البارود وفعلت كما قال حمزه ،بان اضع البارود في كيس واثقبه وان اصنع منه خطا على الارض وعند ابتعادي اشعل الخط فيقود اليه فينفجر ،نلذت ذلك ووصلت لباب السجن فرليت الحرس يلتفون حولي ،قلت سافشل في تدميره لكني رايت شخص يحمل السيف يقف خلفي ويقول :تابع .. نظرت له فوجدته الشخص ذاته الذي ساعدني للهروب من السجن ،وهاهو يساعدني الان ، ابتسمت واشعلت الخيط ،ورفعت سيفي وعاونته حتى فتح الله علينا فشققنا صفوفهم شقا وابتعدنا ،وبالفعل انفجر البرميل الاكبر وانفجر السجن باكمله ،رايت الحرس يسقطون ارضا منهكين وابتعدت انا وذاك الشاب الذي قال لي :اين حمزه؟

رايت مؤمن واسلام يتجهون نحوي ويقولون بفرح:نجحنا!!.....

وبفرح:مهند انت حي ؟

ابتسمت لهم وبكيت كما لم ابكِ من قبل وقلت :حمزه في الداخل قد خاطر بنفسه من اجل الانفجار الاول .

جلس مؤمن على الارض واسلام استدار نحو الحائط واخذ يبكي اما مهند فنظر لالسنه اللهب التي تخرج من المكان وقال: كيف ذلك؟لماذا يا حمزه؟

اتت رحمه غاضبه تتبعها امانه نظرت لوجوهنا الحزينه وقالت: هاقد نجحتم بدوني، اين حمزه؟سالقنه درسا لن ينساه قط

قال مهند: حمزه هناك ..... واشار لحيث السنه اللهب

رحمه : تمازحني صحيح ؟قل لي انك تمزح وانه مختبأ فحسب؟ قلها يا مهند؟

نظر مهند للارض والدموع تتساقط من عينيه ،فتحركت نحو يوسف

رحمه:يوسف ارجوك قل له انني لست غاضبه منه دعه ياتي الى هنا ارجوك؟

حرك يوسف راسه بحزن وقاللليتني استطيع!

هناك نار تستشيط غضبا تتقدم نحوهم، ليصدر صوته الاشبه بالفحيح ويقول:

اتعتقدون انكم نجحتم؟ساقتلكم جميعا ..

حمل مهند سيفه ووقف امام الجميع قائل:

تراجعوا!

حمل يوسف سيفه ووقف بجور مهند وقال: تقدم ايها الخبيث ستموت الان ..

الزعيم: ستدفعون الثمن.

.تقدم نحو مهند بسرعه خاطفه ولكمه بقوه اطاحت به، فهو مصاب من اثر العذاب الذي كان يتلقاه في سجنه، وانقض على يوسف الذي كان يبارز ببساله حتى اصابه في كتفه .

قال الزعيمستموتون ..ستموتون ..سـ

وسقط ارضا ،ثم هطل عليه وابل من الرصاص...

اتى صوته الاجش وقال: اتظن انني اهزم بسهوله!

بكى الجميع، انها دموع الفرح ،انه حمزه، انه حي، اقترب من الزعيم الذي اصبح مُلقى على الارض وقال:

مهما اتدعى المنافق انه شخص جيد ، مصيره جهنم ايها الجرذ المتنكر.

بابتسامه قال ليوسف :تقدم يا يوسف تعال لتحطم جمجمه هذا الخبيث !

نظر يوسف نظره خاطفه ليمينه فوجد امانه، تقف وعينيها مشبعه بالدموع، حتى اصبحت تنزل دمعه وتمسح الاخرى وقالت بصوت غاضب وحزين: لقد قتلت امي، وقتلت ابي، وقتلت نبض،وكنت ستقتل صادق وحبيبه، وستذرني وحيده، اصارع العزله..

وانتهت الى صخره كبيره امسكتها بكلتا يديها واقتربت من جسده المهزوم وتابعت:اني لأكرهك، قتلت الابرياء، وما رحمت الضعفاء، وكنت شر يغرس نفسه في حلق الجميع، فيمنع الخير..

اراد يوسف منعها لكن حمزه اوقفه واشار له ان يلتزم الصمت.

واكملت: انا لست ضعيفه ساقتلك ،ساقتلك ليس رغبه في الانتقام فالمعامله لاتكون بالمثل، وانما كي لاترتكب المزيد

من جرائمك البشعه ،فامثالك ممن يفسدون الحياه لا يستحقونها. فلتذهب الى الجحيم ...

والقت على راسه بالصخره فتفتت جمجمته وتبعثرت خلايا دماغه، وانتشر دمه ليعلن ان العيد قد حان، وان الشر قد زال...

ذهب حمزه لمساعده مهند وقال: اانت بخير؟

مهند وهو يربت على كتف حمزه:احسنت لقد كنت بطلا يا حمزه.

ضحك حمزه وقال: بفضل اللّه..ثم اني لاشكركم جميعا فقد غيرتم في نفسي الكثير وكنتم خير الاصدقاء، لقد تعلمت منكم الشجاعه، والقوه، والحكمه والرحمه والطيبه والصدق والامانه والكثير، انتم حقا اشخاص رائعون..وقد حباني اللّه بالخير عندما يسر لي صحبتكم ..

ابتسم مؤمن: كنت بطلا يا حمزه ،واثبت ذلك بجداره. ولن يعترض احد.

ابتسم اهل القريه واجتمعوا جميعا حول حمزه يهتفون بفرح، هذا يسلم عليه وهذا يحيه وهذا يرفعه، وبعد عناء يوم طويل، اجتمع الابطال في منزل العم فاضل، الذي ابتدا الحديث وقال:سيكون مهند الزعيم منذ اليوم فهو بطل شهم.

حمزه: صدقت!

مهند : الا تظنون اني لا استحق؟

مؤمن: مهند اني ارى كلامك قد اشعل الشرر في عيني يوسف يبدوا انك ستاكل لكمه اخرى يا صديقي!

يوسف: يبدوا ذلك.

ضحك مهند وقال: حسنا يا رفاق سافعل ولكن ستكونون حولي وبعون الله سينصرنا الله على الظلم اينما وقع وحل.

ضحك حمزه بفرح ثم تذكر فقال: اين رحمه؟

مؤمن: اصرت امانه على ان تذهب معهم الى بيتهم لكنها رفضت وبشده وخرجت منذ مده

اسلام: انتهينا يا حمزه اذهب للنوم الان، لقد نجحت.

حمزه:لا ليس بعد ستنتهي مهمتي بعد تدمير تلك الاسوار التي تغلف القريه ..

مهند : فكره سديده!

يوسف: لذلك جعلتني القي بالبارود اسفل منها؟

حمزه:كنت اخشى ان افشل فقلت على ابسط الامور سنفجر الاسوار وليهرب من يهرب..

مؤمن: متى ستفجر المكان؟

حمزه: في ظهر الغد ساخرج للسوق مع يوسف وسنذيع الخبر وستذهب يا مهند كونك الزعيم الجديد للناصيه التي في الباحه وتهدمها وتخبر الجميع بامر الانفجار

مهند: وتسميني بالزعيم وانت تامرني -وضحك- ضحك حمزه وضحك الجميع ..بعد سهره ليست بالطويله خلد الجميع للنوم فقد كان اليوم متعبا لهم جميعا... بالنسبه لحمزه لم يكن مسرورا، لكنه قد رمى نصف الحِمل عن ظهره وبقي النصف ،لماذا ذهبت رحمه؟ يبدوا انها حزينه! هل لازالت غاضبه منه؟

قرر الذهاب ليجدها هو يعلم انها في كهف نبض، وبالفعل عندما وصل راها هناك تحتضن قميصا له وتبكي وتقول : ليتك هنا يا نبض لقد انتهي كل شيء ،ليتك هنا.. تنحنح حمزه ليُعلمَ رحمه انه اتى وقال:

ايتها السيده الجميله اتسمحين لي بالدخول؟ !

رحمه:لماذا تتجسس علي ايها الشاب؟اسائت اخلاقك بعد ان انقذت الاخلاق؟ !

ضحك حمزه وقال: اتيت لاطمئن عليكِ فحسب، اهذا جزائي؟

سكتت ولم تجبه ..

حمزه:لم تخبريني ماذا كتب لك نبض؟ نظرتْ له نظره كئيبه ثم اعادت النظر للارض وقالت: لو كان هنا لكان سعيدا الان

حمزه:اذا عليكِ ان تبتسمِ !

رحمه بغضب مصطنع :اسمع ايها السيد لقد تذكرت الان باي حق تضع لي منوم في الطعام.؟

حمزه بضحكه :اوصاني نبض بهذا

رحمه :حقا؟!

حمزه :انتِ متهوره ولن تستجيبي لي ان اخبرتك ان تظلي بعيده عن الخطر لذلك فعلت ما فعلت تنفيذا لوصيته ..

-لحظه صمت –

اتعلمين! ماكنت ساجعلك تاتين معي حتى لو وافق نبض، كان المكان خطيرا عليكِ ..

رحمه :سترحل؟

حمزه:لا استطيع البقاء هنا يا رحمه، علي العوده هناك شخص في انتظاري ..

رحمه :اتقصد اباك؟

حمزه:نعم.. سنقوم بتفجير السور في الغد ، عودي للمنزل الان لتتالي قسطا من الراحه..

رحمه: هل لي بسؤال؟

حمزه: تفضلي ؟

رحمه : لماذا اتيت الى هنا؟

حمزه: للبحث عنك ،من الخطر ان تمضي وحيده لايزال هناك اتباع لذاك الوغد واخشى ان يعثر احدهم عليك.

نهضت وقالت: دعنا نعود ....

حمزه:لنعد هيا

لم ينبس احدهم بحرف واحد ، كان الصمت مطبقا عليهما ، رحمه تصارع الم الفاجعه، والم الذكريات، ولاتدري ماذا سيحدث لاحقا؟ !

يؤلمها قلبها عندما تعلم ان حمزه سيغادر، فقد وجدت فيه نبض الذي فقدته ،والان ستفقد حمزه ايضا ... تنهدت، فلاحظ حمزه ذلك، فقال: رحمه!

اجابت: ها ..

قال: سيكون كل شيء على ما يُرام، من المحتمل اني لن اجد شبيهي، ولن اساعده، ساظل عالقا هنا ..

رحمه بصوت منخفض: اتمنى ان لا تجده

ضحك حمزه فقد استطاع سماعها وقال: سيكون اللّٰه معنا دوما ، انظري للنجوم، ماان تختفي احداها تظهر نجمه منيره

مكانها، لا نقص يدوم هنا، كل شيء يترمم، وعلينا التكيف، المهم ان لا ننظر لجانبنا الناقص دوما، فنظري لاكتفائك يا رحمه لتستمتعي ...

ابتسمت وقالت: ساحاول جاهده فعل ذلك

وصلا اخيرا صعد حمزه لغرفته وغط في نوم عميق، بعد اكوام المشقه هذه ،والضغط البدني والنفسي الذي تعرض له ،كان نومه بمثوبه غنيمه قد حصل عليها، فكل الكوابيس كانت تطارده في لياليه الماضيه..

"الأمل هو خيار قابل للتجديد: فإذا نفد منك في نهاية اليوم، يمكنكَ أن تبدأ الصباح بأمل جديد" باربارا كينج سولفر.

لقد اشرقت الشمس ، وسَطَت اشعتها على الظلام، فالقته خلفها ، وظهرت هي، نهض حمزه على صوت قرع باب غرفته ليقول: تفضل!

يوسف: انهض ايها الكسول انها الظهيره..

حمزه:حقا؟ !

يوسف: بالطبع هيا لنذهب..قم لاداء مافاتك من صلوات ثم نذهب ...

ابتسم حمزه ونهض ، صلى ،ولحق بيوسف فوجد الجميع في الاسفل حتى ان صادق وحبيبه قد جائا لالقاء التحيه ،ابتسم لهم وقال:صباح الخير

يوسف: قل مساء الخير سيكون افضل هكذا..

ضحك حمزه :علي الخروج الان والا تهشم راسي على يد يوسف.

حبيبه: لكنك لم تتناول شيئا...

يوسف :ليس لديه متسع من الوقت لفعل ذلك ،سنذهب الان وانا ساتكفل بمهمه اطعامه ..

اقتربت رحمه من حمزه وقدمت له حقيبه فقال :ماهذه ؟

رحمه:ابقها معك، واياك ان تفتحها ...

حمزه: تعطيني اياها ما دمت لااستطيع فتحها...؟!

رحمه: عندما تعود ساخبرك بما فيها لكنك مشغول الان .

حمزه: حاضر..اعتني بنفسك، وانتم ايضا يارفاق واياكم ان تنسوا مااتفقنا عليه ...

مهند : سافعل ايها الزعيم.

ضحكوا جميعا وغادر يوسف مع حمزه ،كان حمزه يتحدث عن نفسه فقال: لم يكن لدي اصدقاء بعددكم يوما، كنت افضل ان اظل وحيدا واكتفيت بصديق واحد منذ طفولتي ، والسبب ماكنت اريد ان اتحمل مسؤوليه شيء في هذه الحياه، كنت اعلم ان الصداقه مسؤوليه، فسيكون لديك اصدقاء لتطمئن عليهم،وتزورهم ان مرضوا، وتساعدهم ان احتاجوا لذلك، كنت اتهرب من منزلي، او اظل وحيدا في غرفتي، حتى اهرب من كلام ابي الذي يعيد نفسه، لكن الظروف قد غيرتني كل شيء تغير،

فتحميلكم لي المسؤوليه قد غير في نفسي الكثير ..

ابتسم يوسف وقال:

ماكنا سنحمّلك مالم ترغب به، لكن الرغبه النابعه من داخلك، وقوة ارادتك

وايمانك، من اجتلبت النصر، فدعك من هذا انا لايهمني كيف كنت ،ولا يهمك ايضا، فلاتفكر بهذه الماساويه، اتعلم! انا ايضا كنت قاسيا مع ابي، لاشك وانها اخبرك بما فعلت؟

حمزه:انه يحبك في نهايه المطاف.

يوسف: اتمنى ان يسامحني!

حمزه: سيفعل صدقني.

يوسف بابتسامه :اخبرني كيف سنذيع خبر التفجير؟

ابتسم حمزه وقال: ايها االتاجر من اكثر التجار هنا ثرثره؟

ضحك يوسف وقال: اذا اتبعني اعلم اين يكون جيدا ..

وصل يوسف وحمزه لتاجر معروف يحب الثرثره بالاخبار الصحيحه والخاطئه، اخبراه بامر التفجير، وبالفعل ما ان

وصلا لاخر السوق حتى سمعوا رجل ينادي على صديقه قائلا :اسمعت سَتُفجر الاسوار الكئيبه؟!

يوسف: في قلبي غصه غريبه اجهل مصدرها.

حمزه:مابك؟

يوسف: لا اعلم، انا قلق!

حمزه: اطمئن هاقد وصلنا

طرق حمزه الباب، لم ياتي رد، كرر الطرق لارد ايضا، في الثالثه طرقه وهو يطمئن يوسف، واذ بالباب يفتح، وتطل امراه عجوز حفر الشيب راسها، نظر لها يوسف بشوق بعلم حمزه انها قريبته، دخلا في عناق شديد، والامر المدهش ان الجده كانت تبكي بمراره، لم يكترث يوسف لدموع وقال انها دموع الفرح ثم قال لحمزه:اعرفك يا صديقي انها جدتي..جدتي هذا حمزه الشاب الذي انقذ المدينه من سطوت ذاك الشرير.

ابتسمت الجده وقالت: لقد اخبرني عنك ياحمزه كثيرا، ان ولدي يحبك وبشده..

حمزه:هذا فخر لي يا جدتي ..اتسمحين لي بالدخول؟

الجده: اجل تفضلا ادخلا ...

يوسف: اين ابي؟

الجده بحزن قد بدى رغم محاولاتها الجاهده في اخفائه: اجلس يا بني.

نهض يوسف وقال: لن اجلس اين ابي؟ماذا حدث له؟

الجده: لقد اصابه المرض يا بني ،ولم يستطع مقاومته فسلمروحه ،رحمه الله ..

انهار يوسف على الارض وعينيه مغرقتا بالدموع وقال:كيف حدث هذا ومتى؟؟

مسح حمزه دموعه وقام ليساند صديقه فانحنى بجواره

قالت الجده :منذ شهر تقريبا ..

يوسف :شهر !توفي ابي منذ شهر وانا لم اكن اعلم؟!الااصدق اكاد اجن يا حمزه، انا لا اصدق، اضربني لعلي اصحوا لااريد الاستمرار في هذا الكابوس، لا اريد .

حمزه:استعن بالله يا يوسف قل انا لله وانا اليه راجعون، واصبر فان لك بالصبر اجر، وسيساندك الله لتتغلب على ماا صابك من حزن ..اصبر يا يوسف فكلنا على هذا الطريق..

يوسف :لكني كنت اريد ان اعتذر، كنت في شوق لتقبيل يده وراسه ،وكأن هناك من شق صدري وانتزع فؤادي مني.. كم وددت لو انه عاد , فهناك الكثير من الكلام له والمئات من رسائل الاعتذار لامنحه اياها , كم تمنيت عودته لاتاسف وبشدة على ضياع كل دقيقه كان يريد مني ان ابقى فيها معه .

تمنيت ان يرى دموعي وهي تنساب كلما لاح طيفه في الذاكرة ,ليعلمَ مقدار حبي , كم اشتهي ان اقول ابي مجددا.....

حقا ! كنت مغفلا , والان اتمنى ان يعود لتوبيخي , ليبتسم فارى ابتسامته واتمعن فيها , فارحل الى نطاق السعاده , كم اتمنى لو عاد الزمان ادراجه للوراء ,لالقي بجسدي المتهالك في احضانه واجهش البكاء , انا حقا افتقده , لم اعتقد ان هذا اليوم سياتي ..

كنت دوما اقول اني ساعتذر غدًا يا ابي, اين الغد؟

الم تطلع شمسه الى الان !؟

اين ابي ؟

حمزه: استعن باللّٰه يا يوسف، مارايك ان تذهب لتتوضأ فتصلي ركعتين، واسال اللّٰه له الرحمه ولك المغفره. حرك راسه بالموافقه فنهض حمزه معه، ساعده على الوضوء وتركه يصلي في غرفة والده ،جلس حمزه بحزن على كرسي قريب ،

فقالت الجده: كان يتمنى ان يرى يوسف.

حمزه:واين دفن ياجدتي؟

الجده:لااعلم يا بني، قد استفحل به المرض وبقي في المستشفى وبعد مده وصل مبعوث من المشفى ينقل الينا الخبر، ولعجزي لم استطع الذهاب الى هناك..

حمزه: هل لك ان تخبريني مااسم المستشفى؟

الجده :انه مستشفى الالم ...

حمزه:ساعود يا جدتي ..ارجوك اعتني بيوسف واخبريه اني قادم بعد قليل ..

الجده:الى اين تذهب يا بني؟

حمزه:لن اتاخر باذن الله ..

رحمه ...

كنت اتجول برفقه امانه وحبيبه، فرأيت حمزه يدخل للمشفى ، لحقنا به، فقد اقلقنا الامر ،وجدته يسال الطبيب عن امر ما فبقينا هناك ننظر اليه من بعيد.رايت الطبيب يخاطبه وكانه يخاطب ارذله القوم، وبصدق لقد استشطت غضبا فذهب لمناداه مهند من فوري الذي كان قريب جدا من المكان ...

حمزه:ايها الطبيب العم الذي كان يبيع الزهور كلن قد استفحل به المرض واتى اليكم ،هل لي ان اعلم اين هو؟

الطبيب: قلت لك لا اعلم، لااعلم اذهب الان

حمزه:اخبرني ارجوك...

الطبيب:قلت لك اذهب الا تفهم؟اذا كنت لاتفهم سافهمك بهذه -ورفع سسكين الجراحه-

مهند : وان كنت لاتعلم فهو مستشاري الاول.

الطبيب: الزعيم!

مهند : مابه ياحمزه، ان كان قد ضايقك فاخبرني ،فلم اهدم الناصيه بعد.

حمزه:لسنا مثلهم يا مهند ، الان دعه يخبرني عن بائع زهور كان من رواد المشفى هذا قبل شهر تقريبا ..

مهند : من يكون؟

حمزه قص عليه القصه بالمختصر فقال مهند :

اتعلم من يكون بائع الزهور هذا؟

الطبيب بخوف: نعم انه ..انه ..لقد كان هنا قبل شهر ويسمى ورد ..

حمزه:اين ذهب؟

الطبيب: لااعلم ..لقد امرني الزعيم السابق ان اخفي اخبار المرضى الذين يتحسنون فمن يخضع للالم مره فهو ضعيف لا

مكان له هنا ، لذلك نبلغ اهلهم بوفاتهم ونضعهم في مهجع اسفل هذا المكان.

لم يمهله حمزه فرصه ليتكلم وركض نحو باب قد قاده للبهو ، وتبعه مهند ، كان ينظر لعيون الموجودين حتى وقعت عينه عليه: عم ورد؟!

ورد : حمزه!

ضحك حمزه واخبر العم ان له مفاجاه تنتظره، اخذ بيده، وقال لمهند قبل خروجه: تصرف ايها الزعيم لاتترك هذا المكان هكذا ..

مهند :

سافعل ...اسمعوني جيدا سيصبح اسم هذا المكان الامل عوضًا عن الالم ، وستلغى كل القرارات الصادره بامر حجز المرضى فنحن بشر، ولابد ان يصيبنا منه شيء، ولكل شخص منا حق له في ان ياخذ العلاج الازم ، وانت ايها الطبيب وسائر الاطباء، انكم تقومون بعمل عظيم، فاخلصوا النيه لله،وقوموا بعملكم على اتم وجه، وانا لن اتوانى عن محاسبه المقصرين ومكافاه المجتهدين، والله رقيب

عليكم...

ابتسم جميع من في المستشفى، وعلت صيحات الفرح،ونطقت الافواه بيحيا العدل ...

اردف مهند : المفاسد منتشره، وانا لن استطيع الوقوف وحدي في طريقها ،فساندوني وانا لن ابخل عليكم فيما استطيعه ..

العم ورد : انتظر يا حمزه دعني التقط انفاسي ..

حمزه :لاوقت ياعمي سنصل بعد قليل

ورد : اهذا منزلي يا حمزه؟

حمزه :نعم

ودخل الباب وصاح :يووووووسف ..يا يوسف

دخل فوجده يبكي بمراره على سرير والده قد نُفِخت عينيه من شده بكائه فقال له: انهض ..انت رجل.

يوسف: ومن قال لك ان الرجال لا تبكي؟ !ان لنا قلبا كسائر المخلوقات ..

حمزه :لم اقصد هذا !

نظر لصدمه يوسف، التي بدت على ملامحه فعلم ان العم ورد قد دخل المكان، وبالفعل كان يقف على الباب، والدموع تصطف في صمت ،استطاع تجميع حروفه اخيرا وقال بصوت متقطع: يو سف! ؟

عانق يوسف والده وهطلت غمامات الفرح من عينيهما، بعد طول فراق، وبعد خوفه الكبير عندما ادرك انه سيفقد والده، انتشرت اجواء الفرح وغمرت المنزل الذي هجر منذ وقت، وابتسم حمزه، عندما تذكر انه سيذهب ليلاقي اباه بعد حين، وسيفرح فرح كهذا، غادر المنزل ،وشعور بانه اصبح خفيفا سيطير في الهواء لاينفك عنه، تبعه يوسف،وقال له: حمزه انتظر

حمزه : الن تبقى هناك ؟

يوسف: سنفجر الاسوار معا ثم اعود الى هنا .

حمزه: اذا فلنفجرها بسرعه...

ذهبا لكهف نبض وقف حمزه هناك، كان يتمنى ان يرى رحمه واصدقائه هنا، لكنه لم يجدهم، لايعلم ما يكمن وراء هذه الامنيه، دلفا لشقوق حيث قاما بصب البارود

وتثبيته، حمل حمزه الشعله التي اشعلها يوسف، وقال: فلننهي الامر، هاقد انتهت مهمتي ..

والقى بها، فاشتعل المكان ودوى صوت الانفجار الاكبر الذي شهدته هذه القريه ..

وقف حمزه ويوسف بجوار بعضهما على جبل نبض، ونظرا للانقاض والحجاره المتطاير ..

بعد ساعه واحده كانت حزم الدخان تسابق بعضها في الصعود لطبقات الغلاف الجوي، لقد انتهت الماساه التي كانت تقام خلف هذه الاسوار، وهاهو حمزه يسقط بين يدي يوسف، فيساله يوسف بقلقمابك يا حمزه؟

حمزه :لا ادري، شعور غريب، لم اشعر به من قبل، يبدوا اني ساغادر المكان الان، اخبر الجميع اني احبهم ...

ومع نهايه كلماته، تلاشى من بين يدي يوسف، اخيرا، حان دوره في ان يتلاشى، ويختفي كما اختفى الجميع من حوله .. لقد انتهت مهمته هنا وكان يوسف هو الشخص الذي يحتاج للمساعده، مشكلتهما متشابهه ،بالفعل، كيف لم يلحظ ذلك؟!

انتهت ،جولته في هذا المكان، لقد احبه ،واحب من فيه وقد اصبح له اصدقاء اوفياء، لاينتزعون من ذاكرته ابدا، لقد غيروا فيه الكثير، ودفعوا في نفسه السرور، لقد اصبح رجل ،عندما احتدت الظروف واضطر ان يتحمل المسؤوليه، قد عُلقتْ به الامال وقد نجح في استعاده اخلاق نفسه، ومعرفه الحقيقه الكامنه، واكتساب الكثير من العبر ... وادرك ان سر النجاح هو الثبات على الهدف، وان الظروف لا تستطيع ان تحكم احدا يملك اراده كافيه في تحقيق النجاح،وان النجاح والسعاده تكمن فيه هو، في ذاته ،في قلبه، في تصرفه ...

يشعر وكانه طائر يحلق في السماء وما هي الا لحظات ،وفتح عينيه لقد كان في المستشفى، نظر ليده فراى الابره تلك وكانها لم تُزل عن يده يوما ، ابتسم ،استطاع ان يميز ملامحه المتعبه من السهر، وهو يجلس بجواره على كرسي، يمسك بيده بين كلتا يديه، نهض حمزه وقال: ابي؟

الاب بفرح قال وهو يهم باحتضانه: لقد قلقت عليك..اين كنت؟

بكى حمزه، ما اثار دهشه الاب فقال: مابك يابني؟

حمزه: اني اسف يا ابي ،انا احبك، احبك، فلا تحزن مما بدر مني، انا لن اكرر ذلك، وسيتغير كل شيء ..

لم يصدق الاب ما يحدث الان، فبعد اختفاء ابنه فجاءه،ورؤيته له بعد غياب طويل ملقى امام عتبات المنزل غائبا عن الوعي، وحمله الى هنا بسرعه، والان حمزه الذي يقف امامه ليس بحمزه الذي يعرفه، ولا يدري ما الذي تغير فيه؟

لكن ايًا يكن هو بخير ، وهو افضل من ذي قبل.... قال والده الذي لم يستطع كبح دموعهانها لمعجزه!

حمزه : ابي ...-وبابتسامه -لاتحدثني عن المعجزات ساخبرك بما حدث لي،لكن لاتتهمني بالجنون اتفقنا؟ !

ابتسم الاب وجلس بعد ان مسح دموعه ودموع ابنه بكفيه وقال: اتفقنا ..

قص حمزه على والده ما حدث ودخل الطبيب ليث والممرضه رهف التي اشرفت على رعايه حمزه ،فقال ليث: حمدا للّٰه على سلامتك..

ابتسم حمزه:ايها الطبيب انا اعتذر منك ايضا لقد كنت فضا معك ...

ابتسم ليث :لاعليك كنت اعلم انك متعب، لكن لماذا ابتعدت عن ابيك وابضا اختفيت من على سريرك ؟!

ضحك الاب ،لانه يعلم ماحدث لحمزه ،ونظر حمزه لطبيب وقال: يصعب شرح بعض الامور فليست كل الاحاث مفهومه،انا نفسي لا استطيع معرفه ماحدث لي ؟وكيف حدث هذا؟

ضحك الطبيب وقال :اتهلوس يا عزيزي ؟!

حمزه بعد ان نظر لاباه:اعتقد ان ما حدث يفوق الهلوسه بكثير ...!

قص حمزه ما حدث له ،واثر اندهاش معالم الطبيب الا انه ابتسم اخيرا وقال :المهم انك عدت؟!

حمزه: ستقول اني مجنون ؟!

ليث :لن اقول هذا لقد زرت ذاك المكان من قبل..

حمزه بدهشه: حقا ؟!

ليث:نعم ..وكنت وقتئذ في الجامعه ادرس الطب ولم يتبقى لدي سوى السنه الاخيره ،سنه التخصص ،حرت فيما ساتخصص ،وحدثت تلك الحادثه، فقررت ان اتخصص في علم النفس، لكي اعلم ماحدث لي وكيف حدث ؟

حمزه بفضول: وماذا اكتشفت؟

لقد علمت ان هناك بعض الحقائق ليس عليها ان تقال ،وهناك امور عليها ان تظل غامضه ،وان هناك اسرلر ليس علينا اكتشافها ،واسوار ليس علينا اقتحاهها ..

ابتسم حمزه: اهذا ما تعلمته من تلك الرحله ؟!

ليث: نعم!.. استمع يا صديقي لقد ذهبت الى هناك وكنت في مستشفى الالم ،هكذا قال لي نبض صديقي العزيز ،انه ساجد شبيهي هناك ..

حمزه: حضرت الطبيب لقد اصبح اسم المستشفى الامل .

ابتسم ليث وقال :كيف حال نبض ؟

حمزه بحزن : لقد قتل على يد ذاك المنافق ...

ليث :لكني اراه حيا ؟!

حمزه: كيف هذا ؟

ليث :وكانك نبض ياحمزه!

ضحك حمزه بعد ان تذكر كلمات رحمه التي كانت تقول وجدت فيك نبض ..رحمه ! اين هي ؟لقد بقيت وحيده. التفت الى ابيه فجاءه وقال:ابي ارايت معي حقيبه عندما وجدتني ؟

الاب: انها هنا لا تقلق ..

حمزه:اعطني اياها من فضلك؟

مررالاب الحقيبه بين يدي حمزه،كيف استطاعت هذه الحقيبه ان تاتي معه؟

فتحها فوجد فيها ورقه

حمزه...

ان اسفه كنت اعلم ان يوسف هو من عليك مساعدته لكني لم اخبرك بهذا ، كنت خائفه من ذهابك، ولكن شاء اللّه ان تلتقي به، وتنجز مهمتك، رايت فيك نبض يا حمزه، فكن بخير، وكن حمزه القوي الشجاع الذي عهدته، لم اسامحك على وضع المنوم لي بعد ...

-ضحك حمزه هنا!-

ايها البطل وضعت لك تذكار هنا اتمنى ان يعجبك..رحمه"

نظر حمزه الى والده وفي عينيه شيء من الدموع وقال:

كانت فتاه طيبه، انظر ياابي لقد تركت لي قميص نبض وكتاب له وسوارها ..

ليث: سنصبح اصدقاء يا حمزه انت شاب شجاع.

اندهش حمزه من كلمات ليث وقال: وكأنك .وكانك مهند؟ !

ابتسم ليث وقال: الم يخبروك انك ستجدهم لكن في اشخاص مختلفين ؟

حمزه: مهند ...لوهب لاحتضانه.

ضحك ليث وقال:اسمي ليث يا نبض ..

ضحك حمزه وقال: حسنا لاباس سانناديك ليث ..

ليث :بل بالزعيم..

ضحك حمزه ..

مرت الايام وعاد حمزه لجامعته، ومنزله وأصبح البيت ذو بريق اخآذ، عاد الحب فيه للحياه ،وفي ايام الدوام وهو جالس في احدى مقاعد كليه الاداب جلس بجواره شخص وضع يده على كتفه وقال: مالذس تفعله هنا؟

استدار حمزه وقال :يوسف؟

نظر له محمد :من يوسف يا حمزه؟

ضحك حمزه واحتضنه، لقد عثر على اثنين من اعز اصدقائه يوسف ومهند يتمثلون في اشخاص يحبهم، بات يحبهم حبا مضاعفا ..

لم يكذبه محمد، ولكنه لم يقل ان كان قد زار المكان،فعلم حمزه انه لايريد الحديث في الامر، فلم يساله، حتى قال:عليك مساعدتي!

نظر له محمد وقالبماذا؟

حمزه:علي العثور على رحمه يا صديقي..

ضحك محمد :سافعل ..

ابتسم حمزه، تابع دراسته في الجامعه لقد اصبح شابا قويا ذكيا حكيما، ولديه الكثير من الاصدقاء، كان يجد فيهم اصدقائه من الاخلاق ..

لقد اصبح حمزه محاضرا يبعث الايجابيه في النفوس، كما انه عاد ليدرس علم النفس، العلم الذي يكون فيه الطبيب اقرب شيء للمريض، العلم الذي يدرس تغيرات الانسان النفسيه، لم يفعل هذا لتقليد ليث لكنه يريد ان يساعد الناس بهذا، ثم ماعيب التقليد ان كان فيما هو خير؟ ياليت الحميع يقلدون الخير في كل منا، لو انهم فعلوا لاصبح العالم افضل !

وقف حمزه امام طلابه في الجامعه كانت علامات الاستياء تحتل اركان وجوههم لان امتحانهم كان صعبا فقال لهم :اسمعوا يا اصدقائي، في الحياه دروس جميله، تلحق بنا الخساره، لكنها تعلمنا شيئا عظيما، ومن كل درس

تكتسب شيئا ،وفي كل يوم تصبح على درجه ادراك اكبر من ذي قبل، فلا داعي للاستياء سيكون الامتحان سهلا المره المقبله، ليس لاني ساقوم بتسهيل الاسئله، ولكنكم ستكونون قادرين على الاجابه عنها، فابتسموا هيا .. ضحك معظم الطلاب وقال احدهم:لماذا تفعل هذا؟ ابتسم حمزه وقال: في يوم كنت في امسّ الحاجه الى المساعده فقدم لي دكتور في الجامعه كان هنا نصيحه ، لم افهم ما ترمي اليه في بادئ الامر، ولكن ادركتها بعد مده وجيزه من الوقت ،ولاتعلمون كم كان لكلماته وقع داخلي، واني لافعل معكم كما حدث معي ...

خرج من المحاضره يمضي بين موكب من الطلاب المحبين الذين يريدون المزيد من الوقت مع دكتورهم ومعلمهم ... راه محمد فابتسم وقال: لقد اصبحت مشهورا.

ضحك حمزه :انت تبالغ ..دعنا نذهب الان!

محمد: هيا لنذهب فليث في انتظارنا ..

دخل حمزه ومن بعده محمد وجلسوا في منزل ليث يبتسمون

ويتحدثون حديثا مزج بين كلماتهم السابقه واحداث ماضيه، واحداث مستجده..

حمزه: كيف حال امانه؟

ضحك ليث وقال: من امانه؟

حمزه: اوه نسيت ..المعذره رهف؟

ليث: لقد تقدمت لخطبتها، واني في انتظار ردها الى الان.

محمد: الم ياتي الرد بعد، اعتقد ان هذا الحدث قد اصبح قديما؟ !

نظر ليث للارض باستياء: اتعتقدان انهم سيرفضون؟

حمزه: لا اعتقد ذلك اياك ان تفقد الامل! اسناذنكم الان علي الذهاب والا قلق ابي عليتقدم حمزه من بيتهم هو يعلم موقعه جيدا، فقد رافق ليث عندما اتى الى هنا، طرق الباب، فطل شقيقها وقال:

اهلا بك تفضل!

دخل حمزه وما ان جلس حتى قال :لقد افتقدتك يا صادق اتذكرني انا حمزه ..؟!

نظر الشاب بابتسامه وقال: اسمي هو ضياء يا حمزه. ثم اردف تذكرتك..

ضحكا واخذا يتداولا اطراف الحديث فيما بينهما، واخذ حمزه يحدثه عن بعض المواقف الدقيثه التي حدثت معه، وضياء يستمع له باذان مصغيه ..

حمزه وهو يقف امام عتبه المنزل مغادرا: في يوم كان مهند يقف معي واخبرني انه يحتاج لمن يساعده في حياته ويقاسمه الحمل، ذكر انه يحتاج لفتاه شجاعه وقويه، وبعد الاحداث التي مرت قرر خطبه امانه فقال لي ذلك، قلت له عندها لن تجد افضل منها -وضحك- انه شاب شجاع يستحق كل خير.. تصبح على خير !

غادر حمزه وترك ضياء يقف مبتسما امام الباب..

ضياء...

فهمت مايرمي حمزه اليه، بالفعل مهند شاب شجاع لكني كنت خائفا على اختي امانه، فلقد عانت كثيرا قبل هذا، نظرت للساعه فوجدتها الحاديه عشره، رفعت سماعه الهاتف فبدا لي انه لم ينم بعد:

قلت: السلام عليكم ..

ليث : وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته ..هل لي ان اعلم من انت؟

ضياء:انا ضياء..

نهض ليث من جلوسه وقال :اهلا ضياء تفضل؟

ضياء:اردت ابلاغك ردي ..

ليث: وماهو ردك؟

ضياء:تعال غدا الى منزلنا يا ليث سنكون في انتظارك.

اشرق وجه ليث وقال: احقا ما تقول؟ !

ضياء: لديك صديق هو غنيمه بحد ذاته فحافظ عليه..

ادرك ليث ان حمزه السبب وانهى مكالمته مع ضياء وانتقل لحمزه ليبشره لكن حمزه لم يجبه ...

عاد حمزه لمنزله ،فتح الباب وقال: ابي هاقد عدت ، اين انت؟

دخل غرفه النوم فوجده نائما:

اني اسف تاخرت عليك، هاانا يا ابي ..

الاب بصوت متعب: حمزه؟!

حمزه بقلق:

اانت بخير يا ابي؟

الاب: انا مسرور لانك عدت ..اعتني بنفسك يا بني انب لـ اشعر بتعب كبير.

حمزه بخوف: ساخذك للمستشفى انهض هيا !

ابتسم الاب وقال : لاداعي له يا والدي، ابقى بجواري فحسب.. اطاع رغبه والده وبقي بجواره، يحارب الدموع ،ويدعوا له بالشفاء، والاب يتلوى الما امام ابنه، فيُحرق فؤاده، انه لامر صعب ان ترى من تحب يصارع الالم، ويحارب من اجلك.

.وخاصه ان كان هذا الشخص هو والدك الذي يبتسم لابتسامتك ويتعب لراحتك ويبكي لبكائك ،ان الاب هو النعمه الكبرى التي منحنا اياها اللّٰه في حياتنا، لا اقول ان هذا للاب وليس للام، ان الام تتحمل ايضا الكثير وتفعل من اجلنا الكثير، لكن بطبعنا ننظر ان هذا من واجبات امنا ،وان امنا عطاء لا ينفد.

فعندما يدخل الاب لصنع شيء في المطبخ نراه افضل مما تصنعه الام ..ليس لافضليته، ولكن لوقعه في النفس فالام تعتاد على وجودها هناك، والطهو حرفتها، لكن الاب ،يفني وقته في العمل ،ويتحمل متاعبه من اجلنا ،وعندما يعود يبدا باللعب معنا واثارت السرور في انفسنا ...

نام حمزه في احضان والده، انه المكان الآمن الذي كان له منذ طفولته هكذا ولن يتغير، فمهما كبر سيظل طفلا لن يكبر امام هذا ، سيظل يحتاجه، ويحتاج نصحه، لم يمنعه العمر من النوم هناك، ولم يخشى الخزي من فعلته، فهو بهذه الحركه يحتوي الامان والرحمه والحب والموده والرفق والحنان، قد ادرك هذا كله ،ادرك كلام تلك العجوز عندما تحدثت عن بيتهم انه بيت الموده والحب.. مرت ليله عصيبه ،وبفضل من الله قد تحسنت حالة والده، واقيم بعد عده ايام حفل زفاف ليث ورهف ، وكانت ايام حمزه من بعد ذلك اليوم شبه روتينيه يذهب لدوامه يعود لمنزله ليرتاح ويجلس مع والده ثم يذهب للقراءه، فيجلس بين الكتب التي يحب..

حتى حدث ما حدث ...

في نهايه المحاضره وعندما كان جالسًا على احدى المقاعد يقرا في الكتاب الذي اهدته اياه رحمه، كان قد كُتب بخط نبض، وصل الى عباره تقول:(لن اتوانى عن تقديم المساعده لاحد، ولن انطفئ مهما حدث،اني امتلك مفتاح سعادتي، انهم اصدقائي، الذين دفعوني لاستعاده ايماني، فاصبح نبضي قويا والحمد لله، لقد تغيرت وانا مسرور بذلك) ابتسم حمزه وكأن نبض قال مايريد قوله، اغلق الكتاب ونظر للسماء الصافيه، مقوله شكسبير التي قال فيها: اصعب معركه في حياتك عندما يدفعك الناس الى ان تكون شخصا اخر. قد اصبحت قديمه لا صحه لها ،فهاهم قد دفعوه لشيء كان مُكرها عليه بدايةً، لكنه احبه في النهايه، الظروف لا تقف عائقا وانما تصنع التطور في ذاتك، والصعوبه التي تواجهها تصبح حلاوه عندما تدرك انك تقدم كل شيء وتحصل نتائج تفوق توقعك ،انك لتستطيع ان تستمتع في الجلبه التي تثيرها الحياه ..

حمل الكتاب ونهض فراى سوار رحمه يتدحرج من جيبه الى قدم فتاه، انحنت والتقطت السوار ونظرت لحمزه الذي اقترب منها وقال: من فضلك السوار لي ..

قالت وهي تقلب السوار بين يديها: كان لدي واحد مثله لكني اهديته لشخص ما.

ابتسم حمزه وقال لها وهو يستدير: اذا هو حلال عليك ..

ابتسمت الفتاه وارتدت سوارها اتعلمون من كانت ؟!

انها رحمه ..